

رواية

«بعشقك أحيا»

اسم الكتاب: بعشقتك أحيا

اسم الكاتب: د/ فاتن عبدالحميد

تصميم الغلاف: عبدالله عباس

رقم الايداع: 2023-26983

الترقيم الدولي: 978-977-87127-0-4

كافة الحقوق محفوظة للناشر والمؤلف
لا يُسمح بإعادة طبع أو توزيع أي جزء بأي طريقة،
بما يشمل ذلك التصوير أو الطباعة أو التسجيل
الصوتي أو أي وسيلة أخرى إلكترونية أو غير
إلكترونية، دون إذن كتابي مسبق من الناشر، ويسمح
فقط في حال الاستعانة ببعض الفقرات لغرض النقد
والدراسة، طبقاً لما تحدده قوانين واتفاقيات حقوق
الملكية الفكرية.

الفصل الأول

انقضت ليلة صاحبة حافلة، السعادة كانت تلف الجميع، دفء المشاعر من كل الحضور رفع درجة الحرارة التي لم تتجاوز ستّ درجات في قلب القاهرة، لم يشعر الحضور بالساعات، لقد مضى- الليل كأنه دقائق رغم أن حفل الزواج استمر حتى قبيل الفجر، كان حفل زفاف ياسمين حافظ كمال، إنها ليست فقط الابنة الكبرى لصديق والدي، بل إنها أختي، فوالدي مراد زهران لا يعتبر حافظ كمال صديقًا فقط، بل الأخ الأكبر والصديق وكاتم الأسرار، صداقة عُمُرها أكثر من ثلاثين عامًا، ورغم أنه لا يجمعهما مجال عمل واحد لكن ما بينهما أقوى من كل ظروف الحياة.

والدي مهندس ناجح ورجل عصامي استطاع أن يصبح رجل أعمال شهيرًا وصاحب أكبر شركة إنشاءات عقارية، بينما عمّي كمال حافظ أشهر جراح قلب في مصر، وصاحب مستشفى شهير جدًا في كل التخصصات رؤّاده من كل الأقطار العربية. أبناء عمّي د.حافظ كانوا معنا في كل الإجازات والمناسبات، لم أشعر قطّ أنني وحيد، لقد عوّضني أبناء عمّي حافظ عن عدم وجود إخوة لي.

ياسمين حافظ اعتبرها توأمي. لقد وُلدنا في نفس اليوم، لكنها اختارت دراسة الطب تأثرًا بوالدها وأصبحت طبيبة أطفال، حتى عندما اختارت شريك حياتها اختارت زميلًا من نفس مجالها بل نفس التخصص، بينما أنا تخرجتُ في كلية الهندسة، والحقيقة أنها كانت رغبتني ورغبة والدي أيضًا كي أتابع أعماله.

أُمدد حافظ طبيب صيدلي كان أصغر مِنِّي بعامين، أخِي وصديقي وكان يعمل في مستشفى والده، وكان بعض الناس يظنون أننا أشقاء لأننا دائماً معاً، أحياناً أظن أننا أصبحنا متشابهين في الشكل، تقريباً نفس طول القامة واعتدال القوام، لكن ربما هو ذو بشرة سمراء بعض الشيء عني، يقول عَمِّي إنه ورث لون بشرة جَدِّه، لكن أمدد حافظ ربما كان عقلاً وعملياً أكثر مِنِّي، لا تتأثر قراراته بمشاعره، ويرى البعض أن ذلك أهم مميزاتة.

كانت ياسمين تشبه أمدد في هذه الصفة، فعقلها دائماً صاحب الكلمة العليا، ورغم أنوثتها الطاغية وجمالها الفريد فإنها عقلانية إلى حد بعيد، يُشعُّ من عينيها السوداوين اللامعتين ذكاء نادر، وينساب شعرها الأسود الطويل يظل أفكارها العميقة وطموحها الكبير، بشرتها البيضاء تعزف لحن الجمال الإيطالي لكن بروح مصرية خالصة.

انقضت الليلة وعُدنا إلى الفيلا، انخرط والدي ووالدي في نوم عميق بينما أنا سارح في أفكاري لا أرغب في النوم، خرجتُ إلى الحديقة حيث أشرقت الشمس، جلستُ أستنشق هواء الصباح، ورائحة الزهور تفوح تنعش الروح، وانتبهتُ على صوت ابنة عمتي وهي تقول:

- صباح الخير، انت صاحي بدري ليه يا عُمَر؟

- أنا ما غمتش.

- ليه؟

- ولا حاجة، مش عارف.

- الليلة كانت حلوة قوي.

- عقبالك يا سمر.

صمّتْ ونظرتْ إلى الأرض على استحياء ثم قالت بصوت خافت:
- نفرح بيبك الأول يا عُمر، مش انت الكبير، أنا هاخُلص الكلية الأول.
- خلاص نعمل فرحنا في يوم واحد، المهم تتجوزي اللي يستاهلك.
صمّتْ وكأن الكلام لم يُعجبها فوقفت على عجل وقالت بامتعاض:
أنا مش نايمة كفاية، هاروح انام.

إنها سمر ابنة عَمّتي، التي تُقيم معنا بعد وفاة عمتي منذ أربع سنوات تقريبًا، كانت ابنة وحيدة، وحينما قرر والدها الزواج، أصرَّ أبي أن تعيش معنا، خاف عليها من مضايقات زوجة الأب، في البداية رفض والدها لكنه مع إلحاح سمر وترحيب زوجته الجديدة بذلك وافق، كان هذا حلًّا مُريحًا لجميع الأطراف، وكانت سمر ترفض هذا الزواج ولم تَزُرْ والدها قط منذ زواجه بل كان هو من يأتي إلينا ليراهها ويطمئن عليها، كان يعلم أنها لم تسامحه بعد، لكنه كان يراهن على الزمن، يراهن أنها عندما تكبر وتنضج ستفهم احتياجه إلى زوجة وونيس، أعرف لماذا انصرفت، أعرف ما لا تنطق به، لكنني أقصد أن أذكّرها أنني لا أراها إلا ابنة عَمّتي فقط، دائمًا أُحِبُّ أن أذكّرها بذلك إلا أنها لا تفقد الأمل أبدًا، عيناها تنطقان لي بمشاعر عاصفة لكنني لا أملك من أمر قلبي شيئًا، أعرف أنها جميلة، عيناها العسليّتان ذواتا تأثير عاصف، وبشرتها السمراء تزيدها جمالًا، حتى شَعْرها التي تحافظ عليه مُجَعَّدًا دائمًا أو كما يُسمّونه «كيرلي» يُضفي عليها شقاوة تخطف القلوب، لكن قلبي اختطف منذ زمن بعيد، ربما منذ طفولتي، منذ أن كنتُ في السادسة من عُمرِي، حقًا لا أعلم كيف أُحِبُّ في هذه السن، كيف أصبحت تلك الرضيعة عالمي الجميل، عامًا بعد عام تكبر وتعلّقني بها يكبر، فأصبحتُ جزءًا مِنِّي يَحيا هُناكَ في فيلا حافظ كمال، إنها مريم حافظ كمال، آخر

العنقود، الشقراء التي نالت التدليل من الجميع، كبرت مريم وهي إلى جوارى، صغيرتي التي أخاف عليها من كل شيء وأفتديها بكل شيء، لا أقبل أن يضايقها أحد، ومَن يجروُ على أن يضايقها من الأساس؟ لا أحد يجروُ، الجميع يعلم أنها صغيرتي وحببتي، لم تَعُدْ صغيرة الآن بل هي في العام النهائي من كلية طب الأسنان. قاربَتْ أن تصبح حببتي في بيتي وشريكة عُمري. أيضًا سمر تعلم أن مريم حببتي وخطيبتى وزوجة المستقبل من قبل أن تسكن معنا، ولا أعلم لماذا سمحت لمشاعرها أن تدفعها نحو حُبِّ يائس.

غريب أمر القلوب، لماذا ألومها؟ الحُب ليس قرارًا بل هو الذي يختارنا، يقودنا إلى حيث يرغب، ندخل عالمه بإرادته لا إرادتنا.

دخلت سمر غرفتها في وجوم شديد، جلستْ تلوم نفسها، لكن ما الفائدة؟ لقد وقعت في بئر العشق، ومَن يُنقذها منه؟

تعلم أنه لا يُحبها ولن يُحبها لكنها دون أن تدري تعلقت به، ومَن تلك التي لا تعشق شابًا مثله؟! عيناه السوداوان تفيضان بالحنان، ملامحه الهادئة تنمُّ عن رجولة ورومانسية مفرطة، يبدو لها كأنه فارس على جواد جاء من ليلة قمرية من ليالي ألف ليلة وليلة ليأخذها من عالم الفراغ البارد إلى عالمه الحالم الدافئ.

لن تمنع نفسها حُبّه ولو كان قلبه لأخرى، فرما تقذف الأيام بالأخرى من مملكة قلبه ليخلو لها، وتسكن بين دقاته كما يسكن قلبها وروحها، مَن يدري ماذا سيحدث غدًا؟

.....

يا له من يوم رائع! يوم نتيجة مريم، نجحت مريم وتخرجت وانهدم سور الدراسة الذي كان يعوق الزواج، هو ليس بعائق فعلي، كثرات يتزوجن في أثناء الدراسة، لكن دكتور حافظ لا يقتنع بهذا، هذا ليس السبب الحقيقي، العَمُّ يريد تأخير الزواج قدر ما يستطيع، إنها قطعة من قلبه، دلوته التي يُفكر كثيرًا كيف ستَمضي- أيامه بعد زواجها وكيف يتخيل بيته دونها، لكنها سُنَّة الحياة، وكذلك مريم متعلقة بوالدها بشدة.

إنها لحظات رائعة، عيناها الزرقاوان تلمعان من السعادة وشعرها الطويل خيوط من الذهب تنساب على كتفيها، يميل مع الهواء يغازل عينيها، شفتاها تبتسمان وترسم سعادة عُمَر بابتسامتها الساحرة. احتفلا معًا طوال اليوم وقضيا يومًا رائعًا، واختتما اليوم في السينما لمشاهدة فيلم أجنبي، كانت مريم تتابع الفيلم الرومانسي- بانهار وتأثر، بينما عُمَر يتأملها، لا يعنيه كثيرًا مشاهد تمثيل وجَمَل عاطفية تَلْقُن للممثلين تلقينًا، مَن منهم يُحبُّ مثله؟ جاء وقت الاستراحة في السينما وخَرَجَا يتناولان بعض المشروبات، هي لا تُغَيِّر مشروبها أبدًا، طلبت عصير المانجو بينما طلب هو قهوته المعتادة، وراح يصارحها بما يحلم قائلًا:

- ينفع نتجوز بعد أسبوعين؟

- إنت بتهزر؟!

- الفيلا جاهزة، هنستنى إيه؟

- حبيبي لازم انا كمان اكون جاهزة، دا اختيار الفستان عايز شهرين.

- الفستان بس شهرين؟! كدا هنتجوز وعُمري سِتِّين سَنَة.

تعالت ضحكاتهما، فقال:

- أنا هاتفق مع عَمِّي على كل حاجة.

تصاعد رنين هاتفه المزعج.

- مين يا عُمَر؟

- أمجد، طبعًا هيقول لي اتأخرتو، أنا عارف عَمِّي زمانه رجع وهو ما يعرفش يقعد في البيت وانت مش فيه.

- رُدّ يا عُمَر.

- لا مش وقته خالص، يلاً نكمل الفيلم.

عاود أمجد الاتصال، نظر إليها عُمَر وهو مُستاء من إلحاح أمجد، وتساءل بينه وبين نفسه: «أيخاف عليها وهي معي أم يخاف عليها مِنِّي؟».

- رُدّ يا عمر، أنا بدأت اقلق.

أضطرّ إلى الردّ:

-فيه إيه يا أمجد؟ إنت صداع يا حبيبي؟!

- هات مريم وتعال الفيلا حالًا.

-فيه إيه؟ ما لك يا أمجد؟

- تعالوا فورًا.

لم يفهم ماذا حدث، لكن صوت أمجد وهو يبكي يُنبئ بحدث جلل.

اتجه عُمر ومعه مريم فوراً إلى فيلا حافظ وكلاهما يَشعر بالقلق، كانت مريم طوال الطريق تحاول الاتصال بوالدها وأخيها وأختها ولا أحد يرد عليها، انهمرت دموعها وقالت بصوت خافت:

- فيه حاجة حصلت؟ أنا خايفة، بابا مش بيرد عليّ، تفتكر جرى له حاجة؟

- إن شاء الله خير، اهدي حبيبتي.

كلمات كان يقولها لكنه في الحقيقة يشعر بنفس شعورها، الأمر ليس بالهين، لا يعلم ماذا سيكون، لكنهما سيواجهان موقفاً قاسياً.

وَصَلَ إلى الفيلا وهناك -على غير العادة- أقارب دكتور حافظ وصرخات تأتي من الداخل، أمسك بيدها بقوة واخترقا هذا الزحام أمام الفيلا ودخلا مهرولين، وهُنا كانت الصدمة، لقد مات دكتور حافظ، لم يَكُن مريضاً، الدكتور جاء قبيل موعده وأخبر زوجته أنه يشعر ببعض الإجهاد وطلب منها إعداد طعام العشاء، وحينما جاءت لتخبره بأن العشاء جاهز رآته مُلقًى على الأرض فاقد الوعي، استدعَتْ على الفور جاره وصديقه الدكتور عبد الرحيم عَلَام الذي أخبرها أن الأمر انتهى، لقد مات حافظ كمال.

لَفَ السواد قلب وجسد مريم في يوم تخرجها، وتبدلت ابتسامتها إلى دموع منهمة، انزوت في ركن بعيد عن الجميع مُسِّك بصورة والدها في يدها، تتأمل الصورة وتتحدث إليها بِلُغة العيون، انتهت أيام العزاء وانصرف الجميع، وأصبحت لا تغادر غرفتها، لا تقابل أحداً.

حتى عُمر لا تَرُدُّ على مكالماته الهاتفية، ربما تكتفي برسائل كتابية على «الواتس آب»، اعتزلت الجميع، الصدمة كانت قاسية، مضى شهر لم يَرها فيه

إلا بضـع دقائق، كلما ذهب للاطمئنان عليها لا تنطق إلا بكلمات قليلة، عَكَرتَ الدموع صفاء عينيها وبدت شاحبة الوجه، هزيلة الجسد، كثيرًا ما كان يتساءل ماذا يفعل، وكيف يساعدها على أن تتخطى هذا الزلزال، الأمر صعب لكن كُلُّ حزن سيمضي مهما قبع فوق الأنفاس.

وها هي نسائم السعادة تُهَلُّ من جديد على عائلة حافظ كمال، ياسمين ستُصبح أمًّا، يا له من خبر رائع رسم الابتسامة على وجه مريم من جديد.

ومضي الأيام وبدأت مريم تَخرج قليلًا من عزلتها، وأخيرًا قَبِلَتْ أن تتناول الغداء مع عُمر في النادي، اشتاق إليها كثيرًا لدرجة أنه ذهب قبل مواعدهما بساعتين، الوقت يمضي ببطء، وهل هناك أصعب من الانتظار؟

وها هي تُقبل نحوه من بعيد، تخطو خطوات رشيقة، ابتسم وتتبع قلبه خطواتها، الفستان الأسود لا ينقص من جمالها بل يبرز بياض بشرتها، شعرها الذهبيّ يتمايل يزيدّها جَمالًا، حتى موج عينيها الزرقاوين يُغرّقه من خلف النظارة السوداء، جلست أمامه في هدوء كأنها نسمة صيفية انتظرها في صيف حارٍّ جدًّا، يفوح عطرها يأخذه إلى عالم عينيها الساحر، فقال مبتسمًا:

- وحشتيني قوي.

- أنا آسفة يا عُمر، أنا عارفة اني تعبتك قوي الفترة الي فاتت، عُمر اوعى تكون زعلان مِنِّي.

- حبيبتي، أنا فاهم ومقدر وعارف عَمِّي حافظ -الله يرحمه- كان إيه بالنسبة لك، أنا بس حزنك بيوجعني أكثر ما يوجعك.

- حاسة اني عمري ما هافرح بعد بابا، كل حاجة ما لهاش معنى.

- أنا جنبك يا مريم، أوعدك اني هاعيش اسعدك، أحلف لك اني عُمرى ما هاسمح لأى حاجة تجرحك.

- ربنا يخليك لى يا عُمر، لو لِسَا فيه سبب اني اعيش بعد بابا هو انت. أنا باحبك قوى يا عُمر.

- مش هاقول باحبك لأنها كلمة بسيطة قوى على إحساسى ليكَ، إنتِ روحى.

انقضى اليوم، مرَّ سريعاً رغم أنه لم يُعوّض أيام الغياب، لكنه جاء في وقته تماماً، يكفي أن يراها تبتسم، هذا يكفي أن يمنح قلبه سعادة لا توصف.

بدأ عُمر يفكر كيف يجعلها تعود إلى حياتها الطبيعية، لن يسمح للحزن أن يؤلمها كثيراً، وجد فكرته وأعدَّ مفاجأة ظن أنها ستُحقق هدفه.

اتصل بها في المساء:

- حبيبتي، أنا عايز اقابلك ضرورى.

- خير يا عمر؟ فيه حاجة؟!

- عايز اشوفك ضرورى.

- تعال البيت، أنا مش عايزة اخرج.

- ساعة كفاية عشان تجهزي؟

- عُمر، إنت كويس؟

- تمام يا حبيبتي، هاعدى عليك الساعة ٧، يلا اجهزي.

انتظرها أمام الفيلا وأخذها إلى حيث المفاجأة.

- رايحين فين؟ فيه إيه؟

- أنا عامل لك مفاجأة.

- إيه هي؟

- مفاجأة واقول لك إيه هي؟! دقائق وتعرفي كل حاجة.

صَعِدَا مَعًا مَصْعَدًا فِي بَرَجٍ شَهِيرٍ فِي وَسْطِ الْقَاهِرَةِ، وَهِيَ مَا زَالَتْ فِي حَالَةِ تَرْقُبٍ، إِلَى أَنْ وَصَلَا إِلَى شَقَّةٍ مَكْتُوبٍ عَلَيْهَا لَافِتَةٌ كَبِيرَةٌ «عِيَادَةُ د. مَرْيَمَ حَافِظَ،

كَانَتْ مَفْاجَأَةٌ كَبِيرَةٌ لِمَرْيَمَ، لَمْ تَتَوَقَّعْ قَطُّ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ هِيَ مَفْاجَأَةُ حَبِيبِهَا،

أَمْسَكَ بِيَدِهَا وَأَدْخَلَهَا الْعِيَادَةَ لَتُبْدِيَ رَأْيَهَا فِي الْأَجْهَزةِ الَّتِي اشْتَرَاهَا وَالْدِيكُورِ، وَهِيَ تَشَاهِدُ فِي أَنْدَهاشِ بِالْخ:

- مَشْ مَعْقُولِ يَا عُمَرُ، إِنْتِ عَمَلْتِ كُلَّ دَا إِمْتَى؟ وَازَاي؟

- إِيهَ رَأْيِكَ فِي الْأَجْهَزةِ؟

- حَبِيبِي مَشْ مَعْقُولِ! دِي أَحْدَثُ حَاجَةٍ.

- اتْفَضِلِي عَقْدَ عِيَادَتِكَ وَالْمَفَاتِيحِ.

- أَنَا مَشْ عَارِفَةٌ أَقُولُ لَكَ إِيهَ، أَنَا مَعَاكَ مَشْ بِالْحَقِّ احْلَمْ وَلَا ائْمَنِي، إِنْتِ بَتَحَقِّقِ لِي الْحَلْمَ قَبْلَ مَا احْلَمَهُ، دَا كَثِيرَ قَوِي يَا عُمَرُ.

- لَوْ مَا عَمَلْتِشْ كَذَا أَبْقَى مَشْ بِاحْبِكَ، أَهْمُ حَاجَةٍ عِنْدِي أَنْتِ تَكُونِي سَعِيدَةً.

حقًا استطاعت هذه المفاجأة أن تُغيّر كثيرًا من حياة مريم، لقد أصبحت متفائلة وانخرطت في العمل، ربما هذا منحها فرصة حقيقية أن تتغلب على أحزانها وتتناسى ألم فراق والدها.

وها هي السعادة تَطْرُق الأبواب، جاءت «جنى» ابنة ياسمين حافظ، مولود جديد يحلم جديد وأمل جديد.

مضى عام ونصف على وفاة حافظ كمال، وما زالت مريم ترتدي الأسود، وعُمر لا يعرف كيف يفتاحها في أمر الزواج، إذًا ليس أَفْضَل من دكتور عبد الرحيم علام لإقناع مريم.

عبد الرحيم علام هو الصديق المشترك بين عائلة حافظ كمال وعائلة مراد زهران، هو الضلع الثالثة في مثلث الصداقة، وحبیب الجميع في مختلف الأعمار، يُعتبر الجميع أبناءه وربما كان يبوح له شباب العائلتين بأسرار لا يُخبرون بها الدكتور حافظ أو المهندس مراد، لم يكن الشباب يُعتبرونه عمًا أو والدًا بل صديقًا. رغم نجاحه العملي وحياته العملية المزدحمة واسمه اللامع في طب الأمراض النفسية والعصبية فإنه كان على المستوى الاجتماعي يحيا حياة هادئة فارغة، كان أرملاً منذ سنوات بعيدة، لقد ماتت زوجته في حادث بعد عامين فقط من الزواج، لم تنجب، كان يُحبها كثيرًا، ليس حُبًا عاديًا، حُبًا لم يخفت نوره أبدًا بعد موتها للدرجة التي منعتة مجرد التفكير في الزواج بعدها رغم أنه كان في ريعان شبابه حينما افتقدتها. انهمك في العمل ليل نهار وأصبح متزوجًا من الطب فقط، وهكذا سارت به السنون، قلب ينبض بذكرى.

قَبِلَ الدكتور عبد الرحيم المهمة واتصل بـمريم وجاءته بعد أن أنهت عملها في العيادة.

- أهلاً حبيبتي.

- خير يا عمو.

- خير يا حبيبتي، عايز افرح بيك انتِ وعُمر، عايزين نحدد ميعاد الفرح، كفاية خطوبة.

- مش عارفة يا عمو، أنا لَسَّا حزني على بابا ما انتهاش.

- يا حبيبتي، حافظ عايش في قلبك، عيشي حياتك يا مريم، اقلعي الأسود دا، خلينا نفرح، عمر استنى كتير يا مريم.

-طيب... بس.

- خلاص ما فيش بس، في فرح وزفة وأحلى عريس وعروسة.

.....

الفصل الثاني

جاءت ليلة العمر وتزوج عُمر من حبيبته في حفل زفاف رائع ضج بالحضور، يا لها من ليلة تألفت فيها العروس بالأبيض كأنها أميرة من كتب الأساطير، قضى- عُمر الليلة يراقصها ويحتضنها كأنه امتلك العالم كله بين يديه، لا يعبأ كثيراً بنظرات الناس، إنها ليلة الحلم الذي كان ينتظرها منذ زمن طويل، استمتع الجميع بحفل الزفاف، ومضت الساعات في رقص وغناء والتقاط صور تذكارية، انتهى الحفل، بعدها بيوم واحد طار العروسان في جولة إلى أورُبّا لقضاء شهر العسل.

ما أصعب تلك الأيام على سمر! إنها أيام المواجهة، واجهت سمر الواقع واستفاقت من أحلامها الوردية، وأدركت أنَّ عليها أن تفكر في حياتها بشكل مختلف، عليها أن تدأوي هذا الحرج بحياة جديدة، لا بد أن تتزوج، ليس من الضروري أن تُحب، لكن من الضروري أن تنسى- عُمر، لن تظل تنزف باقي العمر، جُرح الحب سيلتئم بحُبٍّ آخر، وكم تتمنى أن يظهر هذا الآخر سريعاً، أي آخر يُحبُّها، حتى لو لم تُحبه فسيكون هذا أسرع علاج. اتصلت بوالدها وسألته:

- هو حازم عامل إيه يا بابا؟

- بتسألني ليه؟

- لا أبداً.

- لَسَّا مستني، لَسَّا عنده أمل.

- وانت إيه رأيك يا بابا؟

- رأيي انتِ عارفاه يا بنتي، ابن عمك ما فيش زيه، محامي شاطر وغني
وبيجبك، ولو طلبتِ منه حته من السما يجيبها عشان بيجبك.

- خلاص يا بابا، أنا موافقة.

- سمر، الحاجات دي مش هزار، ما ينفعش تقولي موافقة وترجعي
تقولي لا، دا عمك يقاطعني.

- لا يا بابا، أنا اقتنعت بكلامك، وفعلًا حازم عريس ممتاز وكل بنت
تتمناه.

- المهم انتِ تتمنيه.

- وانا يا بابا زيههم، هو انا مش زي كل البنات؟

- إنتِ ست البنات يا سمر.

- كلم خالي عشان ما يزعش واتفقوا، وانا موافقة على أي حاجة هتتفقوا
عليها.

لم ينتظر والد سمر (مختار) إطلاقًا، اتصل على الفور بالخال واتفقا على
إقامة حفل الخطوبة بعد عودة عمر وزوجته من أوربّا.

كانت فريال والدة عُمر تعلم ما في قلب سمر نحو عُمر وتعجَّبَتْ من
موافقة سمر على الزواج من ابن عمِّها الذي رفضته سابقًا، لكنها سرعان ما
فهمت ما يدور في عقل الفتاة. ذهبَتْ إلى جوارها في حجرتها وأرادت أن
تنصحتها.

- سمر، إنتِ عارفة انا باحبك قَدْ إيه؟
- طبعًا يا طنط، أنا باعتبرك أم تانية ليّ.
- إيه اللي غَيَّر رأيك في الجواز من ابن عَمّك؟
- فكرت يا طنط، وحسيت انه عريس مناسب جدًّا.
- فكرتِ ولا حَسَّيتِ؟ لو على الإحساس والمشاعر ما كنتيش هتوافقي يا سمر.

- حازم إنسان ممتاز، أي بنت تتمناه، بيحبني قوي.
- وانتِ؟
- هاحبه أكيد مع الوقت والعشرة، مش مهم اني احبه، كفاية انه يحبني.
- سمر انتِ لَسًا صغيرة، يا ما هيبجي لك خُطاب وكلهم يتمنوا توافقي، الجواز مش لعبة يا بنتي.

- ما تقلقيش يا طنط، أنا عارفة انا باعمل إيه.
لم تستطع فريال أن تُغَيِّر من قرار سمر، لكن كان يجب عليها أن تنصَحها، وربما كانت فريال تثق أن النصيحة لن تُغَيِّر قرار الفتاة لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها أن تحاول مساعدتها ولو بنصيحة.
كانت حياة ياسمين حافظ أكثر صعوبة بعد أن أصبحت أُمًّا.

أصبح يومها مليئًا بالمهام، بين العمل والدراسة وحياتها العائلية، كانت والدتها تساعدُها في الاعتناء بالرضيعة طوال فترة بقاء ياسمين في المستشفى أو المذاكرة استعدادًا لامتحانات الدراسات العليا، بينما (سامح) زوجها يعمل

أغلب اليوم ويعود إلى المنزل مُرهقًا، ربما يغلبه النوم وهو يتناول العشاء. بدأ الروتين والملل يتسللان إلى حياتهما بسرعة غير عادية، ابتلع الصمت أوقات تواجدهما معًا، يجلسان إلى جوار بعضهما وكُلّ منهما يفكر في حياته العملية، انطفأت شموع السعادة وأصبحت حياتهما الزوجية روتينًا صامتًا.

انقضت أيام الجولة الأوربية سريعًا، عاد العروسان إلى عش الزوجية، لكن عُمر بعد يومين أخذ عروسه إلى شرم الشيخ، لا بد أن يكتب اسمه واسمها على رمال الشواطئ في كل مكان، يمنحها السعادة بكل الألوان، تذوب في سعادة لا تنقطع أبدًا، هي تستحق كل هذا الحب، لقد وعدها أن يُسعدّها، أن يحميها من الألم والجراح، ولا بد أن يفي بالوعد طول العمر، إنها حبيبة العُمر.

.....

ماذا تفعل سمر؟! عُمر أعماه الحب، لا يرى غيرها ولا يسمع غيرها، ولا يُحبّ غيرها، منذ أن تزوجها وهو يجوب بها الدنيا كي يُسعدّها، كأنه يحيا فقط ليسعدّها، كانت تسأل نفسها كثيرًا: ما الفرق بين مريم وبين أي فتاة؟ لماذا يُحبّها كل هذا الحب؟ هل العيون الزرقاء تُخضع قلوب الرجال هكذا؟ هل هكذا تعشق الشقراوات؟ ليتني كنت شقراء مثلها، لعلني كنتُ تسلفتُ إلى قلبه وامتلكته، لا بد أن أنساه، لا بد أن أنساه، لا بد أن أتزوج سريعًا.

.....

عاد عُمر وزوجته من شواطئ الحب إلى بيته، عاد إلى العمل اليومي الروتيني، بينما هو في مكتبه جاءه زائر لم يتوقع قدومه، إنه المهندس علي الشرقاوي صديق أيام الجامعة، دخل عليه شاب وسيم طويل القامة نحيف الجسد، ذو شعر مجعد داكن، عينين سوداوين تَنمّان عن ذكاء مفرط،

يرتدي قميصًا فاتح اللون وكثيرًا من الحَظَّازَات في يديه وسلسلة فضة
قصيرة، هرول إليه عُمَر واحتضنه بشوق بالغ.

- حمد الله على السلامة، إنت جيت إمتى؟

- من خمسة أيام.

- ما كلمتنيش ليه؟

- قلت اخليها مفاجأة.

- يعني انا حاولت اخليك تيجي تحضر فرحي، تيجي بعد الفرح؟!

- مبروك يا حبيبي، وبعدين ما تقلقش أديني قاعد معاك لحد ما تزهدق
مِنِّي، خلاص فنشوني.

- وما لك زعلان كدا ليه؟

- يعني برضو الشغل في الخليج فلوسه حلوة يا عُمَر.

- كفاية عليك غربة، إنت هتشتغل معاي هنا.

- لسا ما فكرتش هاعمل ايه، المهم انا عايز ابارك لك انت ومريم.

- وما له يا حبيبي، تشرف في أي وقت.

- لا لا، أنا عايز أعزمكم في أي مكان ونقضي يوم حلو، ما انت عارفني، ما
احبش قعدة الصالونات دي.

- أوي.

.....

جاء يوم زفاف حازم وسمر بعد فترة خطبة قصيرة جدًا، كان والدها يكاد يطير من السعادة، لم يتمنَّ لها زوجًا أفضل من ذلك، الجميع يرقص ويغني على أصوات الموسيقى الصاخبة، كانت العروس ترسم ابتسامة باهتة، وعيناها تتابعان الحضور، ربما ليس كل الحضور، كانت تختلس النظر كثيرًا إلى عُمر الذي كان ملازمًا لزوجته كأنه يغار عليها من عيون الحاضرين، نظرات لم يفهمها إلا فريال هانم (والده عمر). ألم تقل سمر إنها أم ثانية لها؟ كيف لا تشعر الأم بما في قلب ابنتها؟

.....

تَمُرُّ الأيام على عُمر ومريم كأنها عزف رومانسي— مستمر، لم تنقص أعباؤهما اليومية من مشاعرهما شيئًا، لم تهدأ المشاعر ولم تخرس القلوب عن ترديد أنشودة الحب. كيف يقولون إن الزواج هو نهاية الحُب؟ بل الزواج تتويج شرعي لقصص الحُب يتبعه حُب أكبر بعد أن أصبحت تشارك حبيبك في كل تفاصيل يومه، ترتاح في حضن الحبيب من تعبك اليومي، تستمد من حنانه الطاقة الإيجابية لتواصل رحلة الأيام. مضى على زواجهما عام كامل، استعد عُمر ومريم لهذا اليوم بشكل خاص واحتفلا به معًا بعيدًا عن الدنيا في شاليه في الساحل الشمالي، كل منهما معه هدية ثمينة للآخر، لكن يبقى الحُب أروع هدية يمنحها كُلُّ منهما حبيبته. وهل هناك أغلى مِن حُب صادق؟

الفصل الثالث

تَمُرُّ الأيام بين ياسمين وسامح جافة بلا مشاعر، عَمَلٌ جادٌ متواصل، استطاعت ياسمين أن تحصل على الماجستير بسرعة كبيرة بينما حصل سامح على الدكتوراه، وكلاهما كلما نجح في عمله أكثر ازداد طموحه العلمي والعملية أكثر وأكثر، إلى أن حدثت مفاجأة كبيرة، حَقًّا إنها مفاجأة صادمة ستُغيِّرُ حياتهما بالكامل.

انتظرت ياسمين زوجها في البيت واعتذرت عن عملها على غير العادة، عاد الزوج مُرهقًا ومُتعبًا كما هو معتاد. قالت بهدوء:

- أعتقد انك اتعشيت.

- لا طبعًا، الدليفري قفل النهار دا، وهانام خفيف ولا إيه؟

- مس سوسن أكيد عندها عشا، روح اتعشى هناك.

- سوسن مين؟

- مراتك.

ارتبك سامح وجلس في ذهول وقال بصوت مهتز:

- إيه اللي بتقوليه دا؟! إيه التخاريف دي؟

- متجاوز عرقي، والست هانم حامل، ولما لقيتك عايز تجبرها على الإجهاض حَبَّتْ تطربقها على دماغك.

- ياسمين، اديني فرصة اشرح لك كل حاجة، أرجوك.

- طلقني.

- ياسمين، دي غلطة، أنا معترف اني غلطت، مش نهدي حياتنا في لحظة، لازم نفكر في جنى بنتنا. إنتِ نسييتيني في زحمة أحلامك وطموحك وشغلك، ضعفت، ما اعرفش ازاى، سوسن دي ممرضة معاي من سنين، ما باحبهاش والله بس...

- كفاية عليك ابن سوسن، لكن بنتي حرام تتربي مع أب زيك.

لم يعرف سامح كيف يدافع عن نفسه، هو شخصيًا مقتنع أنه أخطأ، اعتذاره لم يُقبل ولم يُسمع من الأساس.

عادت ياسمين إلى بيت والدها، تحمل أحزانها، لم تتخيل يومًا أن يحدث هذا، ما فعله سامح فاق كل التوقعات، بينما هي غافلة تتصور أنه لا يفكر إلا في عمله، تزوجته لأنها رآته شابًا طموحًا يحترم طموحها، كانت تظن أنه خير سند لها لتحقيق أحلامها العملية. كم حَدَّثها عن إيمانه بعمل المرأة وقناعته بأنها تصلح أن تكون وزيرة ورئيسة وزراء، بل إن المرأة جديرة بأن تكون في مقام رئيس الجمهورية، ظنت أنه رجل شرقي بفكر أوربي، أفكاره المنظمة وطموحه اللامحدود وشخصيته الهادئة الرزينة خدَعَتْها، يا له من ممثل بارع، لم تشك لحظة أنه على علاقة بأخرى، كيف حَقًّا لم تشعر بذلك؟

هذا الماكر المخادع عَطَّل الرادار الأنثوي في أعماقها الذي يشعر بخيانة الرجل وهي ما زالت فكرة تجول في خاطره، أهو ماكر إلى هذه الدرجة أم

إنها لم تفكر يوماً أن تمسح أتربة الروتين اليومي عن رادار مشاعرها الأنثوية كي يعمل بسرعة وكفاءة؟

هَلْ حَقًّا انشغالها بالعمل يمنحه الحق أن يفعل ما فعل؟ ألم يكن هو الآخر منشغلًا بمستقبله؟ هل هذا يمنحها الحق أن تخونه؟ هذا المجتمع الشرقي الذكوري يمنح الرجل كل المبررات وكل الحقوق، تعرف أن الجميع سيلتمس له العذر ويطالبها بالصفح والغفران، لكنها لن تغفر أبدًا.

ابتعد سامح بضعة أيام لم يحاول الاتصال بها، أراد أن يمنحها فرصة أن تهدأ، كان هو أيضًا يحتاج إلى خلوة مع نفسه يصارحها ويصالحها، كما أنه غاضب من نفسه، ولا يعرف كيف انساق دون وعي أو تفكير في هذا الطريق الشائك، كيف جعلته سوسن ينحرف عن مسار حياته المرسوم بعناية، ما الذي جذب به إليها، هل جمالها؟ جمالها هادئ عادي متوسط، زوجته تُفوّقها في كل شيء ليس في الجمال فقط، ربما عفويتها، ربما بساطتها، حَقًّا ربما البساطة سحر يتغلغل أيضًا في النفس دون أن نشعر، ربما نظرتها إليه بأنه رجل مختلف هي السر، نعم ربما هذا هو السر، كان يقرأ في عينيها إعجابًا وانبهارًا يرضيه كثيرًا، كانت تفاجئ طبيعتها في أوقات الراحة بين المرضى قبل أن يطلب، تُقدّم إليه وجبات سريعة وعصائر لأنها تشعر أنه مُجهد، تتغزل في أناقته، تهتم بتفاصيل بسيطة جدًا ربما لم تفكر فيها زوجته، تذكّرت يوم عيد ميلاده ولا يعرف كيف عرفت، وأهدت إليه خاتمًا فضيًّا أنيقًا تُقدّمه بخجل شديد لأن الهدية بسيطة جدًا، وهو يستحق أن تكون هديته قيمة للغاية، بحثت عن تاريخ ميلاده واحتفت بالمناسبة رغم أن زوجته كانت منشغلة بالرسالة والماجستير ولم تتذكر هذا اليوم، شيئًا فشيئًا، تسللت سوسن إلى حياته، قَبِلْتُ أن تحيا معه في الظل، قَبِلْتُ الزواج العرفي،

قَبِلْتُ أَلَا تَفَكِّرُ فِي الْإِنْجَابِ لَكِنْ حِينَما حَدَثَ الْحَمْلُ الَّذِي تَقُولُ إِنَّهُ رَغْمَ عَنْهَا تَغَيَّرَتْ وَأَرَادَتْ أَنْ تُصْبِحَ زَوْجَةً أَمَامَ الْجَمِيعِ، تَغَيَّرَتْ وَتَغَيَّرَ هُوَ أَيْضًا، بَدَأَ يَفْهَمُ أَنَّهَا خَطَطَتْ لِتُصْبِحَ زَوْجَتَهُ، فَكَانَتْ ذَكِيَّةً لِلْغَايَةِ وَاسْتَدْرَجَتْهُ إِلَى مَا تَرِيدُ وَهُوَ مَغْمُضُ الْعَيْنَيْنِ، حَقًّا فَهِيَ تَمْلِكُ دَكْتُورَاهُ فِي الْمَكْرِ، وَمَاذَا يَمْلِكُ هُوَ؟ دَكْتُورَاهُ فِي طَبِّ الْأَطْفَالِ جَعَلَتْهُ طِفْلًا صَغِيرًا أَمَامَهَا تَقُودُهُ كَيْفَمَا يَشَاءُ. إِنَّهُ لَا يَرِيدُ مِنْهَا أَطْفَالَ، بَلْ لَا يَرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ «أَمِينَةً» أَمَامَهُ، أَمِينَةٌ الَّتِي تَسْمَعُ وَتَطِيعُ، امْرَأَةٌ تَحْيَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، أَقْصَى- طَمُوحُهَا أَنْ يَرْضَى عَنْهَا، نَعَمْ هَذَا مَا يَرِيدُهُ مِنْهَا، مَا زَالَ سَيِّدُ الْيَحْيَا فِي أَعْمَاقِهِ، رُبَّمَا يَحْيَا فِي أَعْمَاقِ كُلِّ رَجُلٍ دُونَ أَنْ يَدْرِي. لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ أَنَّ الْأُمُورَ سَوْفَ تَتَعَقَّدُ هَكَذَا، مَاذَا يَفْعَلُ الْآنَ مَعَ يَاسْمِينَ وَمَعَ سَوْسَنَ؟

بَدَأَتْ يَاسْمِينَ تُفْهِقُ مِنْ صَدَمَتِهَا، بَدَأَتْ تَرْكُزُ فِي عَمَلِهَا وَابْنَتِهَا، لَنْ تَدَعَ تَجْرِبَتِهَا مَعَ الْخَائِنِ تَهْدِمُ مَجْهُودَ سَنَوَاتٍ، أَمَامَهَا مَسْتَقْبَلٌ كَبِيرٌ وَطَمُوحٌ عَظِيمٌ، وَلَنْ تَسْمَحَ لِأَحَدٍ أَنْ يَوْقِفَ قِطَارَ أَحْلَامِهَا.

تَوَاصَلَ سَامِحٌ مَعَ كُلِّ مَنْ يَسْتَطِيعُ التَّأْثِيرَ عَلَى يَاسْمِينَ وَإِقْنَاعِهَا بِأَنْ تَمْنَحَ حَيَاتِهَا مَعًا قُبْلَةَ الْحَيَاةِ، فَرِصَةً جَدِيدَةً وَأَخِيرَةً مِنْ أَجْلِ جَنَى، أَخْبَرَ أَمْجَدَ وَعُمَرَ وَالدَكْتُورَ عَبْدِ الرَّحِيمِ وَوَالِدَ عُمَرَ بِأَنَّهُ نَادِمٌ، أَخْبَرَ الْجَمِيعَ أَنَّهُ مُسْتَعِدٌّ لَتَنْفِيزِ أَيِّ شَيْءٍ تَطْلُبُهُ كِي تَصْفَحَ وَتَسَامَحَ.

كُلُّ مَنْهُمْ تَحَدَّثَ مَعَهَا عَلَى حِدَةٍ، كُلُّ مَنْهُمْ طَلَبَ مِنْهَا أَنْ تَبْدَأَ مَعَهُ صَفْحَةً جَدِيدَةً لَكِنِّهَا لَا تَرُدُّ إِلَّا بِأَنَّهَا مَرَّقَتْ كُلَّ صَفْحَاتِهَا مَعَهُ، وَأَحْرَقَتْ تِلْكَ الْأَيَّامَ، الْأَمْرُ انْتَهَى بِالنَّسْبَةِ إِلَيْهَا، وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا طَلَبٌ وَاحِدٌ هُوَ الطَّلَاقُ، الطَّلَاقُ فَقَطْ.

الأمر كان صادمًا بالنسبة إليه، معقول أن يخسرها للأبد؟ نعم أخطأ لكنه اعترف واعتذر، ماذا يفعل لإرضاء غرورها وكبريائها؟ عاود الاتصال بِعُمر وأخبره أنه يريد أن يقابلها ويتحدث معها، وطلب ذلك كثيرًا لكنها ترفض، حتى المحكوم عليه بالإعدام يسأل عَمَّا يرغب قبل تنفيذ الحُكم، يريد أن يقابلها، أليس مِن حَقِّه مقابلة أخيرة؟

وَعَدَه عُمر أنه سيجاول، وبالفعل ذهب لزيارتها مع مريم وطلب منها أن يتحدث معها دقائق بعيدًا عن جنى.

- عُمر، لو هتتكلم عن سامح وقر وقتك ووقتكي.

- بصراحة هاتكلم عن سامح.

- عُمر، إنت نفسك مقتنع انه ما يستاهلش اسامحه، مقتنع اني عمري ما هاسامحه، يبقى هنتكلم في إيه؟

- ممكن تقابليه؟ مِن حقه يدافع عن نفسه.

- سمعت دفاعه قبل كدا، إيه الضرورة اني اسمع نفس الكلام؟ أنا مش طايقة اسمع اسمه، مش اشوفه واتكلم معاه.

- أنا رأيي تقابليه، خليه يتكلم، جايز تصدقيه.

ولو ما صدقتيش، على الأقل نتفق ان الانفصال يتم في هدوء، من غير قضايا ومحاكم، عشان خاطري.

- أنا هاطلق يا عُمر.

- أنا جنبك في أي قرار والي يريحك هيتعمل.

حضر- سامح في الموعد المحدد بالدقيقة يملؤه أمل ورجاء أن تسامح زوجته وتصفح، انتظرها نصف ساعة حتى بدأ الشك يتسلل إليه، هل تراجعت عن المقابلة؟ بدأ الأمل في قلبه يتضاءل، وصوت التفاؤل يخف مع كل ثانية تمضي، وأخيراً انتهى وقت الانتظار وها هي ياسمين مقبلة في كامل أناقتها وأنوئتها، تُشعُ جمالاً في فستان وردي قصير، جلست في شموخ ونظرت إليه نظرة ساخرة.

- اتفضل انا سامعاك.

- المهم قلبك يسمعي، أنا باحبك يا ياسمين وتممسك بحياتنا سوا.

- وسوسن؟

- خلاص هي خرجت من حياقي.

- إنت ناسي انها حامل؟!

- ياسمين انا هاتصرف وكل حاجة تتحل.

أرجوك لازم تثقي فيّ.

- كدا ابتديت تفهمني

هي دي المشكلة يا سامح، أنا مش واثقة فيك ولا هاحس معاك بالأمان ثاني.

- أكيد اللي حصل بيتأ حصل مع غيرنا، وأكيد قدروا يكملوا حياتهم، معقول نهد كل حاجة في أول أزمة؟!

- بيتأ أزمة ثقة يا سامح، الثقة والاحترام رصيد لو نقص بين اتنين عمره ما يزيد من جديد، صدقني اللي اتكسر- بيتأ ما يتصلحش، الطلاق هو الحل

المناسب، أتمنى يتم بهدوء واحترام، هتشوف جنى في أي وقت حتى لو كل يوم، أنا ما عنديش أي كلام تاني اقوله.

صَمَتَ سامح وأدرك أنَّ باب العودة مغلق ومفتاحه سَقَطَ في بئر من الجراح، جراح لن تلتئم إلا بالبعد، البعد فقط.

لم يَعُدْ أمامه إلا أن يُطْلَقَ ياسمين في هدوء واحترام، بالفعل تم الانفصال واستعد كلاهما ليبدأ صفحة جديدة في كتاب الأيام، وَمَنْ يدري أين الخير وأين السعادة؟

لم تستطع سمر أن تنسى عُمر ولم تستطع أن تُحِبَّ حازم، لا تعرف لماذا تُحِبُّ مَنْ لا يُحِبُّها، ولا تُحِبُّ مَنْ يعشقها، هل هي طبيعة الإنسان؟ يشتهي ما لا يملك ولا يشعر بقيمة ما يملكه؟ كثيراً كانت تسأل نفسها ماذا ينقص حازم كي تُحِبَّه، لماذا لا تتحرك مشاعرها أمام حُبِّه واهتمامه، حازم شابٌ رائع جداً حَقًّا لكن ينقصه شيء واحد أن تذوب بين يديه، أن تشعر معه بِحُبِّ يغمرها، يملأ كل ذرة من كيائها.

إنه يُحِبُّها، وهي تثق بذلك لكن كل هذا ما زال غير كافٍ لكي تُحِبَّه، ما أغرب تلك الأقدار حَقًّا! ليت الحُبَّ قرار، تبقى في النهاية حياة لا بُدَّ أن نحيها بكل ما فيها.

الفصل الرابع

مضى عام ونصف من السعادة على زواج عُمر ومريم، ما زال الغرام يعزف أعذب الألحان في قلوبهما، تفاهم لا يحتاج إلى كلام، يكفي نظرة عين ليفهم كل منهما الآخر ويشعر بحالته، وبدأ حلم الأمومة يجول في خاطر مريم ويداعب قلبها، تريد طفلاً من عُمر، ابناً مثله، مثله في كل شيء، نفس ملامحه، نفس حنانه، تريد جزءاً منه ينمو بداخلها، لم يفاتها قط في الإنجاب، وهي كذلك لم تفكر لماذا لم يحدث حمل حتى الآن، رغم أن أسرتها وأسرّة عُمر دائمو السؤال، لكنها كانت تشعر أن الأمر سيحدث يوماً ما، ولا بد أن تنفرد بحنان عُمر وحُبّه قليلاً من الوقت، يقولون إن الأطفال مسؤولية كبيرة، وكانت تريد أن تستعد لها، كانت تقرأ كتباً تفيد بها في التعامل مع الأطفال في مراحل العُمر المختلفة، الآن أمومتها تصرخ فيها، وتظن أنها أصبح لديها قدر كافٍ من المعلومات عن تربية الأطفال، أخبرت عُمر أنها ستزور طبيباً للاطمئنان، وبالفعل ذهبت ومعها عُمر، وطلب منها الطبيب بعض التحاليل والأشعة لتقييم الأمر والتأكد من عدم وجود أي شيء يعوق الإنجاب.

عادت مريم إلى طبييها في صحبة زوجها لتطمئن على نتائج التحاليل، وكانت النتيجة صادمة، بكلمتين فقط سقطت أمومتها وسعادتها صريعة، في لحظة شعرت أن الأرض تزلزل تحت قدميها، أخبرها الطبيب أنها عقيم ولا أمل في الإنجاب، لم تنطق، لم تتكلم، وانهمرت دموعها فقط، أما عُمر تحولت صدمته إلى جدال مجهد مع الطبيب، جدال طويل بصوت مهتز وعقل

مُشَتْت، وأصبح يَطرح على الطبيب الحلول وأسماء بعض التدخلات الجراحية الشهيرة المعروفة، وكان أستاذ الجامعة الشهير الذي أمامه لا يعرف شيئًا عن تلك الحلول، بكلمات سريعة وانفعال شديد كان يردد بين الكلمة والأخرى (أكيد فيه حل)، أخبره أنه مستعد لأي علاج، أي جراحة مهما كانت التكاليف في أي مكان في العالم، كان الطبيب يستمع إلى حديث عُمر بصدر رحب وإشفاق شديد، تركه يقول ما يريد ثم قال:

- الطب عاجز قدام حالتها. أنا آسف، دي حكمة ربنا.

خَرَجَا معًا من عند الطبيب في وجوم شديد وصمت قاتل، كان يُلْقُها بيديه كأنه يخشى- عليها ألا تحملها قدمها، يخشى- أن تسقط منهارة كما انهارت أمومتها.

عادت مريم إلى الفيلا كأنها واحدة أخرى غير التي غادرت، أسرعَت إلى غرفتها بينما جلس عُمر في مكتبه دقائق يستوعب ما حدث، يشعر كأنه في كابوس مؤلم ولا يعرف كيف يستيقظ منه.

مرت دقائق ثقيلة أَسْرَعَ بعدها إلى مريم، لا يصح أن يتركها وحدها حتى لو كانت دقائق معدودة، وجدها مُلقاةً على الأرض بجوار فراشها تبكي بحرقة وانهيار شديد.

- قومي يا مريم، ليه كذا؟ كفاية.

ساعدتها على النهوض وأجلسها في فراشها وبدأ يمسح دموعها بكفّيه.

- إنيي كل اللي سمعته.

- أنسى إيه يا عُمر؟ أنا حياتي انتهت.

- هنسافر بَرًا، خلال كام يوم هنسافر أمريكا وأورُبَّا، أنا ما كنتش مرتاح للدكتور دا من الأول.

- أنا هاكلّم ياسمين، تعرض التحاليل على زميلها وأساتذتها،

أنا مش هاقدر اتحمل القلق دا لحد ما نسافر.

- لا يا حبيبتي، ما تاخديش رأي حد، هنروح أكبر مراكز في العالم. اعتبري اللي حصل دا ما حصلش، أنا متأكد ان كل اللي قاله غلط.

- ولو صح يا عمر؟

- إن شاء الله هتكوني أم يا مريم. أرجوكِ أنا مش عايز اشوف دموعك دي خالص.

احتضنها بقوة ليحميها من خوف يعصف بها، ليعث في روحها الطمأنينة، احتضن جسدها البارد ليُبِّثُ فيه دفء مشاعره.

ليلة قاسية سادها الصمت والأرق والتفكير المرهق، لم يَنَمْ كلاهما، وجاء يوم جديد مُحَمَّلٌ بنفس قلق الأمس وأوجاعه.

ذهب عُمر إلى عمله، بينما بقيت هي تفكر في حلمها الضائع، لن تبوح لأحد بما علِمَتْ كما أراد عمر، لن يشاركها أحد هذا الألم، كان بداخلها رغبة قوية أن تذهب إلى والدتها وتلقي في حضنها كل آلامها ولكن لن تفعل، ستنتظر آخر بصيص أمل، لكن الألم يعصف بها، الخوف أكبر من احتمالها، تريد أن يشاركها أحد، وفجأة تذكَّرتْ من يمكن أن تبوح له بالسّر.

عاد عُمر إلى الفيلا في الثانية ظهرًا قبل مواعده المعتاد، أراد أن يكون معها، فهو يعلم كم تحتاج إلى وجوده، لم يجدها، ولم تُخبر الخادمة أين ذهبت، حاول الاتصال بها لكن الهاتف مُغلق، انتابه قلق شديد، أين ذهبت؟

هذا الميعاد بعيد تمامًا عن فترة عملها في العيادة، مضت ساعة وما زال الهاتف مغلقًا، اضطر عُمر للاتصال بوالدتها لعلها تكون قد ذهبت إليها لكنها لم تفعل.

جلس عُمر في مكتبه لا يعرف أين يمكن أن تكون ذهبت.

لكنها جاءت أخيرًا لترحمه من قلق قاتل، جاءت بوجه شاحب وعينين سَكَبَتَا دموعًا كثيرة، أسرع إليها متسائلًا:

- كنتِ فين؟ أنا كنت بافكر انزل ادور عليك.

- أنا ما اتأخرتش يا عمر، إنت بس جيت بدري.

- مش المفروض تقولي لي رايحة فين قبل ما تخرجي؟ وقافلة الموبايل ليه؟

- أنا كنت بازور بابا وما فيش شبكة هناك، أنا آسفة اني ما قلتش قبل ما انزل، حقك عليّ.

- حبيبتي انا بس كنت قلقان عليك، ع العموم حصل خير، يلاً استعدي، عشان خارجين.

- خارجين فين؟

- هنتغدى برّا.

- أنا مودي مش حلو، خليها يوم ثاني.

- إحنا هنخرج عشان كدا، يلاً عشان خاطري.

أخذها من عالم أحزانها إلى عالم حنانه، إلى عالم من الحب، لم تكن في حاجة إلى أكثر من هذا، في كل لمسة، في كل همسة، في كل لحظة كان يجيب عن سؤال يطعن قلبها كل دقيقة: هل سيتخلى عنها يومًا ما؟ لم تنطق قطُّ بهذا السؤال لكنه كان يتردد في أعماقها، هاجس يؤرقها ويمزقها، ولن يرحمها منه كل هذا الحب الذي يغمرها به، لن يرحمها منه إلا أن تأتي الفحوصات الطبية الجديدة ببشرى سعيدة.

بعد أيام قليلة طار الزوجان في رحلة البحث عن الأمل دون أن يدري أحد سر هذا السفر، ما قالوه للجميع أنها جولة سياحية، طار الزوجان إلى بلاد العالم الأول لعل لديهم ما ينقذ حياتهما وحلمهما، هل حقًا هناك الجديد؟

.....

بدأت سمر تمّل حياتها مع حازم، ما زال قلبها مغلقًا أمامه، كانت تأخذ حبوب منع حمل دون علم زوجها، لا تريد طفلًا منه، لا تريد شيئًا يجبرها على أن تكمل عُمرها في تمثيلية زوجية سخيفة، حُبُّه لها لم يُغيّر شيئًا، لم يخلق إحساسًا نحوه بداخلها، لم يَهْزُ مشاعرها العنيدة، ما زالت متمردة على حُبِّه، ربما رغبته المستمرة في إرضائها أصبحت حِمْلًا ثَقِيلًا على قلبها،

يوقظ ضميرها الذي لا يَكْفُفُ عن التأنيب والتذكير بحقوق حازم عليها، لكن قلبها ليس ملكها، إنه ملك رجل آخر، والآخر قلبه ملك امرأة أخرى.

كم هي غريبة تلك الحياة! أمكتوب علينا الشقاء أم نحن من نُشقي قلوبنا وأرواحنا؟ وهل ما نحلم به هو حقاً السعادة الكاملة؟ تظل الأسئلة تنهش في العقول، ومهما حاولنا أن نصل إلى إجابة، فلن نصل إلى شيء، ندور كثيراً في حلقة مفرغة، وننتهي حيث بدأنا دون أن نعرف ما هو الصواب وما هو الخطأ، تظل السعادة حلمًا بعيدًا نلث خلفه طويلاً.

فوجئ والد سمر بابنته تزوره، أول مرة تدخل البيت منذ أن تزوج، استقبلتها زوجة والدها بترحاب شديد، وبعد تناول العشاء تركت الزوجة الابنة مع والدها، كان يبدو على سمر أنها تريد أن تتحدث مع والدها في أمر مهم.

- بابا، أنا عايزة حُبِّك وحنانك، عايزاك تقف جنبي.

- ما لك يا حبيبتي؟ فيه إيه؟ حازم زَعْلَك في حاجة؟

- هتقف جنبي يا بابا؟

- انهمرت في البكاء، والقلق مَكَّن من الأب.

- أنا لِيَّ غيرك يا بنتي؟ ما لك؟ فيه إيه؟

- أنا مش عايزة اكمل حياتي مع حازم، مش قادرة.

- يعني إيه؟

- عايزة اطلِّق.

- تطلقي؟ إيه الكلام دا؟ قولي لي حازم عمل إيه وانا لِيَّ معاه كلام ثاني.

- ما عملش حاجة، بس انا مش سعيدة، ما باحبوش.
- إنتِ فاكِرة الطلاق لعبة والجواز لعبة؟ إيه اللي بتقوليه دا؟
- حضرتك وعدتني تقف جنبى يا بابا.
- أقف جنبك؟! أروح اقول له يا حازم طَلَّق بنتى عشان مش قادرة تكمل معاك؟ ولما يسألني إيه السبب أقول له إيه؟
- دا سبب كافى يا بابا، مش عارفة احبه، خلاص، ليه اكمل فى حياة أنا رافضاه.
- وليه اتجوزتِ حازم طالما مش عايزاه ولا بتحبيه؟
- غلطت يا بابا.
- يبقى تتحملى نتيجة اختيارك، ولو جوازك من حازم غلطة اتحمليها، ما عندناش بنات تتطلق، اتفضلى ارجعي بيتك، والكلام دا لو اتقال تانى هاقطع رقبتك، بلا شغل عيال.
- انصرفت سمر مسرعة، عادت إلى بيتها وهي في غاية الغضب من والدها، لقد تخلى عنها من قبل وبحث عن سعادته دون سعادتها، تزوج بعد رحيل والدتها ولم يُضَحَّ من أجلها، لم ينتظر أن تتزوج ثم يبحث عن سعادته، هو دائماً يفكر في نفسه أولاً، لماذا ظنَّت الآن أنه سيكون لها سنداً؟ دائماً كانت تسمع والدتها تصفه أنه أناني، لم تكن سعيدة معه، كيف يدرك معنى الحُبِّ وهو لم يُحِبِّ؟ لم يكن يُحِبِّ والدتها؟ نعم، كان دائم الشكوى منها، دائم الشجار معها، يقضي—أغلب أوقاته خارج المنزل، وعندما ماتت تزوج بعد شهرين فقط، كيف يشعر بمعاناتها وهو لا يدرك معاني الحُبِّ والوفاء

والإخلاص؟ يريدُها أن تُضَيِّعَ عمرَها في قصة زواج مملة رتيبة بائسة كي ترضيه. وماذا فعل هو كي يرضيها؟

لن تدع أفكاره العتيقة ومشاعره المتجمدة تقضي— على حياتها، سوف تتحرر من قيود هذا الزواج، هذه حياتها وحدها، ملكها وحدها.

تركت سمر منزل الزوجية وذهبت إلى فيلا خالها وأخبرته أنها لن تتراجع عن الطلاق، خيّرتَه بين أن تقيم عنده أو في أي فندق، لم يجد الخال أي فرصة للنقاش وأخبرها أنها في بيتها، واضطر إلى تأجيل أي حوار إلى أن تهدأ.

اتخذت الخطوة وأصرّت عليها وهي واثقة أنها تُصحح خطأها السابق، حياتها مع حازم لا بد أن تنتهي، لا بد أن تحيا كما تريد، ولن ترتبط إلا إذا أحبّت، مِن حَقِّها أن تحيا الحُبَّ بكل تفاصيله، وإن لم تصادف مَنْ تُحِبُّه فلن ترتبط. هكذا تريد أن ترسم حياة جديدة، إننا نحيا مرة واحدة فقط، ولهذا لا بد أن نحياها كما نريد.

الفصل الخامس

لم تكن حياة سامح بعد الطلاق سهلة، افتقد كثيرًا من تركيزه في العمل، أصبح مُشتت الذهن بين ذكريات ياسمين وملاحقة سوسن له، ظن أن الزواج من سوسن سيُريحه، ويساعده أن يطوي الصفحة السابقة، فتزوجها، ولكن ظلت الذكريات تطارده، بل زادت تلك المطاردة أكثر وأكثر، والمقارنة بين ياسمين وسوسن قائمة ومشتعلة في رأسه توظف الذكريات كلما ارتاحت وغفلت قليلًا. هل كان يُحبُّ ياسمين إلى هذا الحد دون أن يدري؟ لم يكن زواجهما قائمًا من البداية على حُبٍّ ومشاعر فياضة، لماذا كل هذا الارتباك والتشتت؟ بل لماذا كل هذا الألم؟ عليه أن يعترف ولو لنفسه أنه يتألم دونها، يفتقد جمالها ورقتها، بل يفتقد شخصيتها القوية وطموحها اللامحدود الذي كان يستفز طموحه ويدفعه إلى أن يفعل الكثير في وقت قياسي، يفتقد أن يدخل بيته ويجدها تنتظره وإلى جوارها جنى الصغيرة، لم تعد سوسن تبهره رغم أنها ما زالت أمامه «أمانة» التي تطيع فقط. ما زالت تحيا كي ترضيه لكن هذا أيضًا لا يكفيه، يريد زوجة لها فكر قريب من فكره، يريد زوجة تناقشه، تُكمل أفكاره وترسم معه المستقبل، سوسن لا تعرف كيف تلعب هذا الدور، حاول أن يُعلّمها ذلك، لكنها غير قابلة للتعلم، كلما أخذ رأيها في شيء أجابت بإجابة واحدة ثابتة (اللي تشوفه، أنا مش هاعرف أكثر منك) إنها «أمانة» وفقط، ومهما حاول أن يغيرها ومهما تغيرت فلن تكون ياسمين. غريب أمر القلوب، غريب أمر البشر إنه يريد

شخصية «أمانة» الضعيفة وشخصية ياسمين القوية، يريد كل شيء، كل شيء في آن واحد، وهل هناك من يأخذ من الدنيا كل شيء؟

إدًا عليه أن ينسى— ياسمين، لا بد أن يتجاوز تلك الفترة من حياته كي يستطيع أن يواصل حياته وإلا سيخسر كل شيء.

.....

كانت صدمة حازم كبيرة، هل هذا جزاء الحُب والإخلاص؟ ماذا فعل كي يُفاجأ بزوجته تترك منزلها وتطلب الطلاق دون أي أسباب؟ ذهب للتفاهم معها في بيت خالها، لكنها رفضت أن تقابله، كان خالها مُستاءً جدًّا من عنادها وتهورها، لكن ماذا يفعل؟ هل يطردها من بيته؟ البنت تبدو متمسكة بفكرة الطلاق بكل قوة، حاول والدها أن يردها عن تهورها احتدَّ بينهما النقاش وصفعها على وجهها بقسوة لعلها تُفئق وتعود إلى صوابها، لكن ما زادها ذلك إلا عنادًا وتمسكًا بموقفها بل إنها هددت بالانتحار كي ترتاح وتريح الجميع. أصبح هذا الزوج لا يفهم ماذا يحدث، تملَّكه صراع نفسي— وقف حائرًا، أُيْطَلِّقُها ويُنتهي الأمر في هدوء احترامًا لما بينهما من علاقات أسرية وطيدة، أم يتركها تسلك طريق القضاء وتدور بين المحاكم سنوات جزاء ما فعلتْ به؟

إنه يريد أن يحترم العائلة لكنها لم تحترمها، لم تفكر إطلاقًا في والدها أو والده وتأثير ما تفعله على علاقة الأخوين، لم تفكر في زوجها المخلص، لم تستطع مواجهته ولا مقابلته لأنها لا تعرف ماذا تقول وما تُبرِّر إصرارها على الطلاق، هربت من المواجهة التي يريدُها، أبسط حقوقه أن يعرف لماذا يطلقها، هل يُعقل أن يطلقها فقط لأنها أرادت ذلك؟ ولماذا تريد ذلك؟

هل تُحِبُّ غيره؟ وإذا كانت تُحِبُّ غيره فلماذا تزوجته؟ دَوَّامة من أسئلة مبهمّة تعصف بعقل حازم وقلبه، ذهب لمقابلة عمّه مختار، كان عمّه في غاية الإحراج، كثير الاعتذار عمّا تفعله ابنته، وجهه يكشف عن حزنه العميق، جلس حازم إلى جواره، وسأله في أدب جم:

- أعمل ايه يا عمي؟

- مش عارف اقول لك ايه يا ابني، اعمل اللي يريحك.

- لو ما كانتش بنتك، أنا كنت عرفت ازاي اخليها تلف على المحاكم، كنت عرفت ازاي انتقم منها، لكن انا هاعمل حساب حضرتك ومش عايزين سيرتنا تبقى على كل لسان، أنا هاطلقها بس تتنازل عن كل حاجة.

- حقك يا ابني، أنا مقاطعها يا حازم، كلم خالها وافق معاها، ربنا يرزقك باللي تستاهلك، بنتي ما تستاهلكش.

تم الطلاق سريعاً جداً وتحقق ما أرادت سمر. أخيراً أصبحت حرة، تخلصت من قيود زواج لم يسعدها وعليها أن تنتظر حباً حقيقياً وزواجاً جديداً كما تريد. أما حازم قرر أن يطوي صفحة سمر بكل تفاصيلها، عليه أن يركز في عمله، ولا بد أن الخير قادم.

حاولت سمر أن تتواصل مع والدها تليفونياً لكنه كان يرفض الرد عليها، فذهبت إليه تزوره، في البداية كان يرفض أن يقابلها لكن أمام إلحاح زوجته قابلها، جلس أمامها دون أن ينظر إليها أو يصفحها، جلس في صمت مرعب، حاولت أن تستدر عطفه بدموع منهمرة وقالت:

- سامحني يا بابا، أرجوك، أنا مش هاعرف اعيش وانت غضبان عليّ.

- إنتِ دمّرتِ حياتك، وقصّرتِ رقبتِي، وصغرتيني قصاد الخلق.

- حقك عليّ يا بابا.

- حقك عليّ؟ وفري كلامك وروحي اعلمي الي انت عايزاه.

- بابا انا اتجوزت في الحلال، واتطلقت، ما عملتش حاجة حرام.

- تتطلقي تتجوزي، أنا خلاص ما ليش بنات، اعتبريني مِتْ، اعلمي الي انت عايزاه.

تركها ودخل غرفته، وأدركت أنه يحتاج إلى وقت طويل كي يسامحها، انصرفت وراهنّت هي أيضًا على الزمن كما راهن والدها من قبل، لقد انتظر من قبل أن ترضى عن زواجه مع الأيام، وهي أيضًا تنتظر أن يرضى عن طلاقها ويسامحها مع الأيام، لن تتنازل عن حقها الأصيل في الحياة كما تُحب إرضاءً له، لقد تمسّك هو من قبل بحقه رغم أنه كان يؤلمها، لماذا يخلع عنها هذا الحق الآن؟ سؤال ظل يدور في رأسها طوال طريق عودتها إلى فيلا خالها مراد، الجميع يرى حقوقه فقط وينتزع حقوق الآخرين بمنتهى البساطة، لأن والدها فقط هو من يرى الصواب، لقد كبرت يا والدي ومن حقي أن أخطئ وأصيب، حتى لو كان طلاقي خطأً، فسوف أتحمل خطئي وأتعلم منه، فقط اتركوني أحيّا كما أُحب. اتركوني جميعًا، لا أحتاج إلى نفسي.

.....

استقبلت ياسمين رسائل على «واتس آب» من أختها مريم، تقارير وتحاليل من مستشفيات عديدة في الخارج تفيد بالحقيقة المؤلمة الصادمة. كانت صدمة ياسمين كبيرة جدًّا وتصورت كمّ الأم الذي يعتصر مريم الآن، لم تعرف ماذا تكتب لها، كيف ترد عليها، كيف تُهَوِّن عليها الصدمة، لكنها لا بد أن تتواصل معها، على الأقل تسمعها، اتصلت بها لكنها لم ترد.

اتصلت بِعُمر وهي تبكي.

- عُمر، إنت ليه ما قلتش انكم مسافرين عشان الموضوع دا؟ كنت جيت معاكم.

- كان عندي أمل انه يكون فيه حل.

- مريم عاملة إيه؟

- مش عارف اقول لك ايه، هي من الصدمة كلامها قليل قوي، ما بتنامش، ما بتاكلش، أنا خايف عليها.

- إنتو راجعين امتى؟

- بعد بكرة، هنوصل ٩ مساءً.

- خلي بالك منها يا عُمر.

- إنتِ عارفة انها في قلبي وعيني.

لم تستطع ياسمين أن تخبر والدتها بهذه الأخبار الصادمة، لكنها كانت في حاجة أن تتكلم مع أحد، باحت بالسر- لأخيها أمجد، الذي لم تكن صدمته أقل من صدمة أخته، لكن أمجد بعقلانيته المعهودة فكّر سريعًا في المستقبل بعد هذا الزلزال في حياة أخته وقال لياسمين:

- عُمرى ما كنت اتصور ان فيه حاجة تبعد مريم عن عمر.

- إنت بتفكر في إيه؟

- بافكر بالمنطق، أكيد عُمر عايز يكون أب.

- لا لا لا، عُمر مش ممكن يتجوز، مش ممكن يجرح مريم.

- حقه يا ياسمين وما حَدِّثْ يقدر يلومه.
- وهي ذنبها إيه؟ ولو هُو مكانها كان ممكن مريم هتطلب الطلاق وتسييه؟
- ممكن.
- إنت بتقول إيه يا ابني، إنت عارف عُمر إيه بالنسبة لمريم.
- عارف يا ياسمين بس المال والبنون زينة الحياة الدنيا.
- لا لا مش ممكن.
- الأيام الجاية هتكون صعبة يا ياسمين، ومريم محتاجانا نكون جنبها.
- أنا ما قلتش لماما.
- بالعكس، مريم محتاجة حنان ماما قوي، وهتخبي ليه؟
- عندك حق.
- الله يرحمك يا بابا، الوحيد الي كان ممكن يعُدِّي مريم من الأزمة دي.
- فعلاً يا أمجد، ربنا يرحمك يا بابا.

عادت مريم بأمومة مختالة وألم يستحيل أن يُحتمل، عادت وهي تشعر أنها ضاغت هناك في بلاد الغربية، عادت امرأة أخرى، بلا أمل، بلا رغبة في الحياة، لا تعرف ماذا تَبْقَى منها، أو ماذا تَبْقَى لها، ممزقة بين مخاوف عدة وأسئلة كثيرة، طوفان من الخوف والقلق واليأس لم يُبقي شيئاً بداخلها على حاله، طوفان أغرق كل أمل لها. كانت تسمع إلى كلام عُمر الكثير وتأكيده

لها أنها وحدها تساوي له كل الحياة، إنها حبيبته وابنته وكل شيء، تستمع بإنصات، ودموعها تنهمر كأن وعوده تزيد مخاوفها، دموعها ترجوه ألا يعد بشيء، عليه أن ينتظر الأيام حينما تمر، انتظر حبيبي، هذا الوعد ليس كأني وعد، وعد شائك، وعد سيذبحنا معًا بلا رحمة، لا تتكلم، فقط اتركني أتألم في صمت.

عاد عُمر إلى عمله، عاد عمر من جديد مشتمًا، حزينًا، كل من يعرفه لاحظ أنه ليس كما عهده، سأله صاحب العُمر علي الشرقاوي:

- ما لك يا عُمر؟ سرحان، وحزين، فيه إيه؟ دا انت جاي من أوربًا، ما لك كدا ولا اللي راجع من عزا؟

- خلينا في الشغل يا علي.

- فيه إيه بجد؟ إنت مش طبيعي.

- مشكلة كدا، بس هتعدّي، كله بيعدّي.

- مشكلة إيه؟

- بعدين يا علي، خلينا في الشغل.

- براحتك يا عُمر، بس انا مستنيك، وعارف انك هتيجي تحكي لي.

دخلت السكرتيرة وأبلغت عُمر أن المهندس مراد في انتظاره لأمر ضروري،

ذهب فورًا إلى مكتب والده، جلس عُمر، بينما أبلغ الوالد السكرتيرة أنهما في اجتماع مغلق وممنوع دخول أحد.

كان عُمر يتابع تعليمات والده ولا يعلم عمًا هذا الاجتماع المغلق، انصرفت السكرتيرة، ولم ينتظر عُمر طويلًا بل على الفور تساءل:

- خير حضرتك؟

- الأخبار عندك.

- أنا؟!

- ما لك؟ فيه إيه؟ من ساعة ما رجعت من السفر مستنيك تقول لي ما لك، ما قلتش، قلت اسأل انا.

- مش فاهم حضرتك تقصد إيه.

- إنت في مشكلة يا عُمر، فيه إيه؟ لو ما كنتش تقول لابوك هتقول ملين؟

ارتبك عُمر وتساءل بينه وبين نفسه: إلى هذا الحد أبدو حزينًا أمام الجميع، وكأنَّ حزني مكتوب على وجهي، وكل من يراني يقرأ ما بداخلي؟ لا مَقَرَّ من المواجهة.

- الحقيقة يا بابا فعلاً فيه مشكلة، المشكلة كبيرة ما لهاش حل.

- اتكلم يا عُمر.

- احنا كنا في الخارج عشان نعرف ليه ما فيش أطفال لغاية دلوقتي، ومع الأسف يا بابا، أنا عقيم وعُمري ما هاقدر اخلف.

انفجر الأب من الضحك، مما زاد ارتباك عُمر ودهشته، هل هذا رد فعل أب يَعْلَم أن ابنه لن ينجب؟ لم يُطِلِ الأب حيرة ابنه وأجابه على الفور عَمَّا يدور في نفسه من تساؤلات قائلاً:

- بصراحة شكلك خايب قوي وانت بتكذب، مش عارف تكذب يا عُمر، عارف ليه؟ لأني ما ربيتكش ع الكذب، هو الحب بيعلم الكذب؟

ما زال عُمر في دهشته وارتابكه ولا يعرف ماذا يقول.

بينما واصل الأب كلامه:

- اسمع يا عُمر، أنا عارف انت كنت فين وليه، واقدر اقول لك على كل يوم بتاريخه كنت في مستشفى إيه وكمان نتيجة كل الفحوصات اللي عملتوها إيه.

- أنا متراقب بقى.

- مش عيب اني اخاف عليك واني احميك من نفسك.

العيب انك تكذب، الحُب علّمك الكذب؟! مريم طلبت منك تكذب على ابوك؟ ما فتكرش لو انا مش عارف الحقيقة كان ممكن يحصل ايه وانا باسمع كلامك دا؟

- أنا آسف يا بابا، أنا متلخبط ومحبط ومش عارف اعمل ايه، سامحني.

- أوكي يا عُمر، لينا كلام تاني، اتفضل على مكتبك.

عاد عُمر إلى مكتبه في حالة من الذهول والدهشة والارتباك، بأت حيلته بالفشل، كان يريد أن يفهم الجميع أنه هو السبب في مشكلة الإنجاب كي يرفع الضغط عن زوجته، نعم يُريد أن يحميها من أي شيء يؤلمها حتى لو كان نظرة عين جارحة، الناس لا ترحم، المجتمع لا يرحم، سيَحْمِلُها الجميع ذنبًا ليست مسئولة عنه، كأنهم لا يفهمون أنها حكمة

الله، وأن الأطفال هبة من الله، يَهَبُ لمن يشاء للذكور وَيَهَبُ لمن يشاء الإناث، أو يجعل من يشاء عقيماً، حديث والده لا يَنْمُ عن خير، ولا بد أن للحديث بقية، دخل صاحبه عليه ووجده غارقاً في همومه، ولمح دموعه في عينيه، وعاد يسأل من جديد:

- فيه إيه يا عُمر؟ إنت في مشكلة كبيرة؟ أول مرة اشوفك كدا، ما لك؟

- أنا فعلاً في مشكلة كبيرة.

- اهدا بس وقول لي وكل حاجة ليها حل.

- مع الأسف ما فيش حل.

أخبر عُمر صديقه بما يضيق به صدره، حَقّاً كانت مفاجأة صادمة، أدرك عليّ ما يعانيه صديقه وما ينتظره من صدام مع الجميع، حاول عليّ أن يُهَوِّنَ على صديقه، طلب منه ألا يفكر كثيراً فيما هو قادم، يترك الأيام تجيب عن كل شيء.

عاد عُمر إلى الفيلا، وجد ياسمين مع مريم، رَحَّبَ بياسمين التي غادرت على الفور رغم إصرار عُمر ومريم أن تتناول معهما الغداء لكنها اعتذرت وانصرفت.

جلس الزوجان لتناول الغداء، الصمت يُخَيِّم على الجلسة، وكلاهما يأكل الفتات، قطعت مريم صمت الجلسة، وقالت بصوت خافت:

- عمر، أنا عايزة اروح عند ماما.

- وما له حبيبتي، براحتك.

- هاقعد كام يوم كدا.

- ليه خير؟ طنط ما لها؟
- لا، ماما بخير، بس انا محتاجة ابعد شوية.
- تركتْ مائدة الطعام، وخرجتْ إلى الحديقة مسرعة، هرول عُمر خلفها وجلس جوارها.
- عايزة تبعدني عني؟
- محتاجة اكون وحدي، أفكر صح، أنا مشتتة وعايزة ارتب أفكاري.
- وانهارت من البكاء.
- فيه حد ضايقك؟ ماما أو بابا؟ حد كلمك؟ أنا لازم افهم.
- هي طنط دايمًا تتصل عايزة تقضي- اليوم معاها، لكن ما حدش كلمني بخصوص..... هما عرفوا؟!
- بابا عارف، أنا اتفاجئت انه عارف كل حاجة، ومش فاهم ازاي.
- عادي، كان مسيرهم يعرفوا يا عُمر، المهم، أنا هاروح لماما من بكرة.
- وانا؟ أنا اعمل ايه في الكام يوم دول؟ أنا مش موافق، روعي قضي- يوم براحتك وترجعني، حبيبتني لازم تفكري فيّ.
- أنا محتاجة الكام يوم دول عشان افكر فيك، وفيك بس، أرجوك يا عُمر.
- مش فاهم حاجة يا مريم.
- عشان خاطري، أرجوك.

في اليوم التالي ذهبت مريم إلى فيلا والدها، ملّمت أوجاعها وعادت إلى غرفتها القديمة التي شهدت على أيام حُبِّ كبير لا تعرف الآن ما مصيره، عادت بألف سؤال يمزقها، وألف ألم يعتصرها، هكذا اكتشفت أنها ليست امرأة كاملة، ليست أنثى كاملة، وقفت أمام مرآتها تتأمل جمالها الطاعي، فلم ترَ نفسها كما كانت، حَقًّا كأنها لأول مرة ترى نفسها، مَن تلك التي في المرأة؟ مَن تلك الشقراء؟ أين بريق أمل عينيها؟ أين ابتسامتها المشرقة؟ أين روحها النقية الصافية؟ وتساءلت:

ماذا تَبَقَّى منك يا مريم؟ لم يَبَقْ إِلَّا نصف امرأة، نصف يائس عاجز مهما كان يبدو جميلاً، لا تملك النصف الأهم، النصف الذي يفقده ستفقد كل شيء، نعم ستفقد كل شيء، أيُّ حُبِّ هذا الذي سيصمد أمام تلك الظروف؟! سينجرف الحب أمام إعصار النقصان، إعصار لن يُبقي لها إلا أوجاعاً وجراحاً.

الفصل الساس

كُلَّمَا مَرَّ يَوْمٌ عَلَى سَامِحٍ فِي حَيَاتِهِ الْجَدِيدَةِ مَعَ سَوْسَنٍ أَزْدَادَتْ قَنَاعَتَهُ أَنَّهَا خَطِيئَتُهُ الَّتِي لَنْ يَغْفِرَهَا لِنَفْسِهِ، طَالَمَا زَادَ احتِجَاجَهُ إِلَى يَاسْمِينَ وَشَوْقَهُ إِلَيْهَا، كَانَ يَحْلُمُ بِأَنْ يَقَابِلَهَا أَوْ يَتَحَدَّثَ مَعَهَا، لَكِنَّا أَبَدًا لَا تَمْنَحُهُ الْفُرْصَةَ، كَانَ يَزُورُ ابْنَتَهُ كَثِيرًا لَكِنَّا أَبَدًا لَا تَقَابِلُهُ، يَرَى ابْنَتَهُ وَفَقَطُ، هِيَ تَظُنُّ أَنَّهُ يَأْتِي مِنْ أَجْلِ جَنِي فَقَطُ، لَا تَعْلَمُ أَنَّهُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَأْتِي فِيهَا يَتَمَنَّى أَنْ يَرَاهَا وَلَوْ دَقِيقَةً، يَتَمَنَّى لَوْ تَصَفَّحَ، لَوْ تَمْنَحَ فُرْصَةَ جَدِيدَةً، لَكِنَّا يَعْلَمُ أَنَّهَا عَنِيدَةٌ، عَنِيدَةٌ حَتَّى فِي الْجِرَاحِ، جُرَّحَهَا لَنْ يُشْفَى بِسَهُولَةٍ وَلَنْ تَسَامَحَهُ بِسَهُولَةٍ، وَرَبَّمَا لَنْ تَسَامَحَهُ أَبَدًا. وَمَاذَا يَمْلِكُ الْآنَ إِلَّا أَنْ يَدْفَعَ ثَمَنَ اخْتِيَارَاتِهِ؟ لَقَدْ اخْتَارَ أَنْ يُحَرِّمَ جَنَّتَهُ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَنَّهَا الْجَنَّةُ، يَبْدُو أَنَّنَا لَا نَشْعُرُ بِقِيَمَةِ مَا نَمْلِكُ إِلَّا إِذَا فَقَدْنَاهُ، وَهُوَ حَقًّا يَفْتَقِدُ يَاسْمِينَ. يَاسْمِينَ حَيَاتِهِ الَّتِي اسْتَبَدَلَ بِهَا وَرْدَةَ صَنَاعِيَّةٍ لَا رَائِحَةَ فِيهَا وَلَا حَيَاةَ، حَقًّا سَوْسَنُ تَبْدُو لَهُ كَأَنَّهَا جُزْءٌ مِنْ دِيكُورِ مَنْزِلِهِ، هَلْ يُحَاوِرُ الدِيكُورُ الْأَصَمَ الْأَبْكَمَ الْجَامِدَ؟ أَيْنَ تَأْخُذُنَا اخْتِيَارَاتُنَا؟ أَحْيَانًا نَذْهَبُ إِلَى الْجَحِيمِ بِأَقْدَامِنَا مُقْبِلِينَ عَلَى الْعَذَابِ مَمْتَهِي الْغَبَاءِ وَنَظُنُّ أَنَّهُ مَمْتَهِي اللَّذَّةِ.

وَضَعْتَ سَوْسَنُ طِفْلَهَا (آدَمَ)، هَكَذَا اخْتَارَ سَامِحُ اسْمَ ابْنِهِ، كَانَ نَسْخَةُ كَرْبُونِيَّةٍ مِنْ سَامِحٍ الَّذِي أَصْبَحَ أَبًا لِطِفْلَيْنِ مِنْ امْرَأَتَيْنِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَجْمَعَهُمَا بَيْتٌ وَاحِدٌ، هُوَ مَمْزُقٌ بَيْنَ حَرَمَانِهِ مِنْ أَنْ يَحْيَا مَعَ طِفْلَيْهِ حَيَاةَ طَبِيعِيَّةٍ، إِنْ كَانَ أَخْطَأَ، فَلَنْ يَتَحَمَّلَ الْخَطَأَ وَحْدَهُ، لَقَدْ تَحَمَّلَتْ ابْنَتُهُ ذَنْبَهُ وَهِيَ تَحْيَا وَتَكْبُرُ فِي بَيْتِ جَدِّهَا، وَكَذَلِكَ آدَمُ سَيَبْقَى وَحِيدًا وَلَهُ أُخْتُ جَمِيلَةٌ، هَكَذَا

أصبح قدره وعليه أن يرضى ويتعلم كيف يحيا ويتعايش مع كل هذا، رحلة حياة لا بد أن نواصلها رغم مصاعبها، رغم أخطائنا.

.....

كم مملة الأيام! لا جديد يحدث، بدأ الملل يتسرب إلى قلب سمر وعقلها، ماذا تفعل؟ كيف تقضي وقت فراغها؟ النادي أصبح مملاً، حتى الصديقات تفرّقن، كل واحدة انشغلت بحياتها الجديدة، منهن من انشغلت بالزواج، ومن انشغلت بالعمل، ومنهن من أصبحت تحرق نفسها بين البيت والعمل ولا تملك دقائق للحديث في الهاتف، كثيرات منهن أصبحن أمهات، وماذا عنك يا سمر؟ سؤال يتردد في عقلها ليل نهار، ماذا حققت؟ حُب من طرف واحد وزواج فاشل وملل ليس له آخر، ما زالت واقفة في نفس مكانها والجميع يقفز بخطى متسارعة في بناء مستقبله.

الملل يؤرقها لكن الندم لم يعرف طريقه إلى قلبها بعد، نعم ليست نادمة على الطلاق، بل إنه أفضل قرار اتخذته.

ما زالت مقتنعة بذلك رغم خصام والدها ولوم الجميع لها، ما زالت مقتنعة أنها على حق وما فعلته هو الصواب.

بدأت تفكر في أن تعمل لعل ذلك يشغلها، وبالفعل عملت مُدرّسة وبدأ ذلك يساعدها على أن تشعر بذاتها وتملاً وقت فراغها، أضفى عملها على روحها السعادة، وساعدها أن تطوي الماضي وتنشغل بالمستقبل، ولكن لم يخفت صوت الحب قَطُّ في أعماقها، لم تنسَ عُمر، فارس أحلامها الذي لم يرها يوماً فتاة أحلامه. حُبها لِعُمر هو كل ما تبقي من أوراق الماضي، كأنه لعنة تطاردها طول العمر، أي تعويذة تُبطل سحر حُبّه؟ هل هو حُب

جديد؟ وهل هناك رجل مثل عمر كي تُحِبّه؟ هو عُمَر واحد في هذا الوجود، لا يتسع هذا العالم لاثنين بهذه الرجولة والرومانسية، هو رجل من عالم الحب البعيد، الذي نقرأ عنه في الروايات، حُبّه قَدَر، وأين المفرد؟

.....

مضى - أسبوعان ومريم ما زالت عند والدتها، تقريباً لا تغادر غرفتها، لا تذهب إلى عيادتها، لا تجلس مع أخيها ولا أختها، ولا حتى أمها، ولا تتجواب مع حديث مَنْ يُحَدِّثُها، حتى زوجها بالكاد ترد على اتصالاته العديدة بكلمات مختصرة، وكلما طلب منها العودة أخبرته أنها تحتاج إلى مزيد من الوقت، وقت من الوحدة والتفكير، كان عُمَر يدرك كل مخاوفها وهمومها وأوجاعها، لهذا كان يريد أن يعود، أن تمنحه الفرصة، أن يغمرها بحُبٍّ يُنسيها كل هذا الألم.

تواصل عُمَر مع ياسمين هاتفياً، الأمر أصبح مزعجاً بالنسبة إليه.

- فيه إيه يا ياسمين؟ أنا مش فاهم حاجة، هي مريم قالت لكم ايه؟ أنا زعلتها في حاجة؟

- يا عُمَر، هي تقريباً ما بتسبّش أوضتها، حتى شغلها سابته.

- أنا خايف عليها، أنا حاسس انها عايزة تبعد عني، حتى التليفون بترد عليّ بكلمتين وثقل، وكل ما اقولها ترجع تقول (عايزة وقت، محتاجة افكر)، أنا مش فاهم حاجة.

- ما عِلْشْ يا عُمر استحملها، أكيد هي مش عايزة تبعد عنك ولا تقدر، هي متلخبطة قوي، فترة وتعدي يا عُمر، هي مصدومة ولازم كلنا نقدر صعوبة الظروف اللي بتمر بيها.

- ياسمين خلي بالك منها، واقنعها انها ترجع.

- حاضر.

كان عُمر كلما أرسل إليها رسائل مكتوبة يُخبرها أنه يحيا بها وَلَهَا ولا معنى لحياته دونها، كانت تقرأ الرسائل ولا تعرف بماذا ترد؟

التفكير أرهقها، لا بد أن تحسم أمورًا كثيرة، لا بد أن تعرف ما تستطيع أن تفعله وما تستطيع أن تتحملة، لا بد أن تفكر بعيدًا عنه، بعيدًا عن حنان قلبه وسحر عينيه، لأنها أمام عينيه ستغرق في عالمه، عالمه الذي قد يتسع لغيرها في يوم ما، لكن هل استطاعت أن تبعد عنه حقًا؟ أم إنه يسكن في أعماقها، يرحل معها أينما ترحل؟

مضى— ما يقارب الشهر وهي لا تزال على عنادها وبعدها، أرهقه البعد وأرهقها، ولا جديد بينهما، هو يحاول أن يطمئنهما وينتظر عودتها، وهي غارقة في مخاوفها، لا تعرف إن كانت تهرب من أحزانها أم حُبّها أم ماذا.

خاصَمَ النوم عينيه، وجلس في الحديقة وكانت الساعة تقارب الثانية صباحًا، حَقًّا يشتاق إليها وأصبح الشوق فوق احتماله، لا بد أن يذهب إليها غدًا ويعود بها ولو رغبًا عنها، لقد صبر طويلًا، وما عاد لديه صبر. وفي زحام أشواقه وحنينه إذا برنين هاتفه يأخذ انتباهه، إنها هي، هي تطلبه، تفكر فيه مثلما يفكر فيها، تشتاق إليه كما يشتاق إليها، أمسك بهاتفه وهو في قمة السعادة.

- أخيراً، وحشتيني يا حبيبتي.

جاءه صوت خافت مرهق بالكاد يسمعه.

- عُمر.

- ألو، مريم، أنا مش سامع، ألو.

- أنا تعبانة قوي.

- ألو، ما لك يا مريم؟ أنا جاي لك.

- أنا عايزة اسمع صوتك.

- فيه إيه؟ أنا حالاً هاكون عندك، ألو.. ألو.

لا أحد يجيب، هرول لاستبدال ملابسه، وفي أثناء ذلك يتصل بياسمين، لم تَرُدْ، حاول الاتصال بأمجد، لا يَرُدْ، يبدو أن الجميع نيام ولا أحد يشعر بها، ماذا يفعل؟ اتصل بالدكتور عبد الرحيم، فهو جارهم وسيصل قبله بالتأكيد، ومن حُسْنِ الحظ أن الدكتور كان مستيقظاً ورَدَّ سريعاً وهو مذعور لأن هذا الاتصال في هذا الوقت يثير كثيراً من القلق، أخبره عُمر بما حدث، انطلق الدكتور عبد الرحيم سريعاً، وأيقظ الجميع وهرولوا جميعاً إلى حجرتها، كانت في فراشها مَغْشِيّاً عليها.

بدأ الدكتور في إسعافها وإفاقتها، وبالفعل بدأت تُفِيق لكن الدكتور قرر أن ينقلها فوراً إلى المستشفى الخاص به، وتَوَاصَلَ مع عُمر أن يذهب إلى المستشفى وينتظرهم هناك. غَيَّرَ عُمر مساره وانطلق إلى مستشفى الدكتور عبد الرحيم.

كانت الأمور تسير بسرعة شديدة، وخضعت مريم لكشف طبيّ دقيق وفحوصات كثيرة، والقلق يتملّك الجميع، إلى أن خرج الدكتور عبد الرحيم وطمأنهم أنها الآن بخير، لكن ستبقى تحت الملاحظة ثماني وأربعين ساعة لمتابعة الوظائف الحيوية، الجميع يريد أن يدخل للاطمئنان عليها لكن الدكتور أخبرهم أنها أخذت حقنة مهدئة ولن تُفقد قبل ستّ ساعات، ونصحهم أن يغادروا ويعودوا صباحًا وأنه بنفسه لن يترك المستشفى قبل أن يطمئن عليها، انصرفت ياسمين وأمجد وبقي عُمر ووالدة مريم، جلسوا إلى جوارها في الغرفة، الوقت يمضي ببطء.

ذهب عُمر إلى د. عبد الرحيم في مكتبه يطمئن منه على حالة مريم.

- طمّني يا عمي، أنا قلقان وحضرتك ما قلّتش فيه إيه.

- اكتئاب يا عُمر، مع قلة الأكل، عمل هبوط وانخفاض في ضغط الدم، بس اطمئن، الحمد لله، لحقناها في الوقت المناسب.

- أنا مش عارف اعمل إيه يا عمي، أنا كنت رافض انها تقعد عند مامتها، وعشان ما زعلهاش سبّتها تعمل اللي عايزاه، بجد انا حاسس اني غلّطت وقصرت، كان لازم ارفض، كان لازم اجيبها بالعافية، هي مضطربة، وكل قراراتها غلط وما كانش ينفع اسيبها لنفسها.

- كمان ما ينفعش تحسسها ان أعصابها تعبانة وكل قراراتها غلط، كدا هتتعب أكثر، هي فترة صعبة وان شاء الله تعدي، طول ما انت جنبها هتعدي يا عُمر.

- يا رب يا عمي.

عاد عُمر إلى غرفة مريم وما زالت والدتها على مقعدها إلى جوارها لكن النوم غلبها، جلس عُمر في هدوء، أمسك بيد مريم وقبض عليها بشدة، وما

زال ينتظر أن تُفِيق، مضى كثير من الوقت، وها هي اللحظة المرتقبة، ها هي شمس عينيها تشرق من جديد لتبعث في روحه الأمل والطمأنينة، قَبَّلها في جبينها بحنان بالغ وعلى ملامحه تبدو سعادة غامرة، استفاقت الأم من غفوتها على صوت عمر:

- حمد الله على السلامة حبيبتي.

واحتضنت ابنتها، وقالت:

- كدا يا مريم؟! رعبتينا عليكِ، الحمد لله يا رب.

- هو حصل ايه؟ أنا مش فاكرة.

فقالَت الأم:

- مش مهم الي فات، المهم انك بخير، أنا هاتصل باخواتك اطمنهم، دقايق وراجعة لك.

نظرت مريم إلى عُمر، وقالت:

- أنا آخر حاجة فاكراها لما كلمتك، أنا حتى مش فاكرة قلت إيه.

- آه، مكاملة الرعب، أنا كنت سهران بافكر فيكِ، وباقول كفاية كدا، لازم ترجعي، وفجأة الاقي حبيبتي بتتصل، كنت هاطير من السعادة، وبس يا ستي ما قلتليش حاجة خالص غير (انا تعبانة) وقلبي وقع في رجلي، بقيت مش عارف اعمل ايه، بس الحمد لله، عَدَّت على خير.

- أنا فعلاً كنت حاسة اني تعبانة، لا مش تعبانة، أنا اتهايا لي اني باموت، كل الي جه على بالي وقتها اني اسمع صوتك.

- تموتي إيه بس! وانا اعيش ازاي؟ ربنا يخليك لي يا حبيبتي، مريم، أنا مش عارف اعيش من غيرك، بعدك عني بيقتلني.

ابتسمت ونظرت في عينيه العميقتين لتغرق من جديد في بحرحنانه
وحبه. حقاً لا بد أن تغرق في هذا البحر كي تحيا.

انقضى الوقت الذي حدده الأطباء للمتابعة وسُمح لها بمغادرة
المستشفى، وعادت مريم مع زوجها إلى عش الزوجية، كان يدلها كابنته
ويغازلها كحبيبته، ويرتاح في حضنها كطفل صغير يحتاج إلى حُبها كي يطمئن
ويسعد، كان اهتمامه بها كافياً أن يجعلها تسترد عافيتها وابتسامتها، وتعود
إلى عملها، وأدركت أن الحياة هي فقط أن تكون إلى جواره، تستنشق عبير
حبه الصادق لينبض قلبها وتتمسك بالحياة. إنها الحقيقة التي لن تستطيع
أن تهرب منها أبداً، عُمر بالنسبة إليها هو الحياة، كُل الحياة.

الفصل السابع

تَلَقَّى عُمَرُ اتصَالاً من والده يطالبه فيه بالحضور إليه في المنزل، وأكد الأب عليه الحضور دون زوجته وأدرك عُمَرُ من صوت والده أهمية الأمر، وبالفعل ذهب إليه في المساء وحيداً، كانت سمر تعلم بقدومه، فاستعدت لتلك المواجهة وتألقت في فستان أحمر قصير، وبدأت مبهجة ساطعة مشرقة، انفرد عُمَرُ بوالده في غرفة المكتب مُنتظراً من والده الحديث، أقبل الخادم بالقهوة وانصرف، وجاءت الأم إلى المكتب وبدأ عُمَرُ يدرك أن الأمر لا يتعلق بالعمل، لا تَحْضُرُ والدته أبداً أي جلسة للحديث عن العمل، كان يبدو على الأم الارتباك وتبادل النظرات مع والده كأنها تترقب ما سيقول، وبدأ عُمَرُ أكثر منهما ارتباكاً، فقال مازحاً رغم أن هذا لا يُخفي قلقه مما قد يدور في هذه الجلسة:

- خير، أنا بدأت اقلق، فيه إيه؟ متخافين يا ماما وعاييزيني اصالحكم؟
الأب:

فات ست شهور على رجوعك من الخارج، سِبْتِكَ تهدا وتعقل وتفكر وتفهمني ناوي على إيه.

رَدَّ عُمَرُ بهدوء:

- فيه إيه؟

- إنت فاهم كويس انا اقصد إيه.

- وانا بإيدي اعمل ايه يا بابا؟ دا قدرنا.

رَدَّ الأب بانفعال شديد:

- لا، قدرها هي، إنت تقدر تكون أب، وحقك تكون أب.

- قدرنا واحد يا بابا، إحنا راضيين بنصيينا.

بدا الأب أكثر انفعالاً.

- إنت جرى لك ايه؟ هو انت خلاص، مش شايف غير مراتك وبس؟

تدخلت الأم في الحوار وقالت بهدوء:

- اهدا يا مراد، أرجوك.

ونظرت في عطف شديد إلى عُمر، وقالت:

- عُمر يا حبيبي، المال والبنون زينة الحياة الدنيا، يا ابني احنا نفسنا نشوف ولادك، دا حقنا عليك يا عُمر، وحق نفسك عليك، فكر بعقلك يا عُمر، أرجوك.

فقال عُمر في حُزن شديد:

- هو انا مش نفسي- يكون لي أولاد؟ لكن اعمل ايه؟ أعترض على أمر ربنا يعني يا ماما؟

فَرَدَّ الأب منفعلاً:

- إنت عارف كويس تعمل ايه، تتجوز.

فَرَدَّ عُمر بانفعال:

- أنا مش هاتجوز، وبعد إذن حضرتك دي حياتي، أنا متهمياً لي أمشي—
أفضل.

هَمَّ عُمَرُ بالوقوف، فصاح الأب:

- اقعد يا ولد، أنا لَسَّا ما خَلَصْتش كلامي، إنت ولد وحيد، ما فكرتش
بعدك كل ثروتنا تروح فين؟!

- حضرتك ما فكرتش في مريم، أقول لها إيه؟ هي ممكن تتحمل قرار زي
دا يا بابا؟ حضرتك عارف انها في اكتئاب من يوم ما عرفت انها مش هتكون
أم، أقول لها بقى انتِ لا أم ولا زوجة، ولا ينفع تعيشي أصلاً.

بدأت الدموع تتلألأ في عيني عُمَر، وساد الصمت بين الجميع

لدقائق معدودة، ثم قال الأب:

- إنت ليه شايفني ما عنديش قلب ولا رحمة؟ إنت عارف مريم بنت
مين وابوها إيه بالنسبة لي، مريم بنتي، لكن ما ينفعش اسيب العمر يجري
بيك والزمن يسرقك، ولما تبقى راجل عجوز في سِنِّي تتفاجأ أنك وحيد في
الدنيا، لازم افوقك، مريم هتفضل مراتك، وتحطها على راسك، وانا اللي
هاحاسبك لو يوم بس زعلتها، لكن لازم تتجوز ثاني ويكون لك أولاد يا ابني.

- ومريم هتوافق عادي كدا؟

- هتوافق، لأنها بتحبك، جرب تاخذ رأيها يا عُمَر.

صمت عُمَر وعاد الصمت من جديد، وعاد الأب من جديد يتحدث في

هدوء:

- فكر في كلامي، عارف انها خطوة صعبة عليك، لكن ما فيش مفر.

انصرف عُمر وهو مكبل بما قيل، يعلم أن والده عنيد، ويومًا ما سيضع زواجه في كفه، ورضاه عنه في كفه، يومًا ما سيُخَيَّره والده بين إرضائه وبين إرضاء مريم، هكذا سيتمزق بين جبهتين، لا يعلم ماذا عليه أن يفعل، بل لا يعرف ماذا يريد، "هل يريد أن يتزوج لينجب؟" لا يستطيع أن يجيب على نفسه بصراحة، قلبه يرفض هذا السؤال، لكنه يعلم أنه في قرارة نفسه يريد أن يكون لديه طفل بل أطفال كما كان يحلم، كم كان يجلس مع محبوبته قبل الزواج يتحدثان عن المستقبل، عن بيتٍ جذرائه عشق وهواؤه شوق، عن بنت وولد يتشاجران ليلاً ونهارًا، ويملآن حياتهما سعادة، كانت مريم دائمًا تقول: «أريد مازن ونور» وكان دائمًا يقول لها: «أنا من أختار»، وها هي الأقدار هدمت الحلم وسلبت منهما هذا الأمل، وإن أراد أن ينجب فعليه أن يتزوج بأخرى.

كان يقود سيارته وعقله مزدحم بالأفكار، لا يريد أن يعود إلى مريم الآن، بل يريد أن يتكلم، يتألم، وهي آخر من يمكن أن يبوح لها بهذا الكلام وهذا الألم، اتصل بصديقه علي الشرقاوي وطالبه أن يحضر- على الفور، تَقَابَلان في مقهى اعتادا أن يجلسا عليه معًا، كان عُمر حزينًا، فبدأ علي الحديث مازحًا كعادته:

- جاييني على مَلا وشي كدا ليه؟ هو انت وراي وراي؟ مش كفاية كل يوم في الشغل؟ ما اعرفش اروق نفسي شوية؟

صَمَت عُمر ولم يَرُدْ.

- وكمان جاييني اكلم نفسي؟ ما لك يا ابني؟

- مخنوق.

- ما هو منظرك بيقول انك مخنوق، مش محتاجة ذكاء يعني، باقول لك ايه، بُص وراك كدا.

نظر عُمر خلفه ثم عاود النظر إلى صديقه.

- ايه؟ فيه إيه؟

- لا بقى، إنت مش مخنوق، إنت عينيك واجعاك، دا فيه قمر، بصر-احة هاموت واكلمها.

- وعلى إيه، روح كلمها، يا رب تهزقك، باقول لك ايه، قوم روح، أنا مش طابقك أصلاً.

- يا عمر، أنا باطلعك من المود اللي انت فيه، خلاص يا سيدي، اتفضل صدعني وعقدني.

بدأ عُمر يَقْصُ على صديقه الورطة التي وقع فيها، استمع عليٌّ بإنصات وتخلَّى عن الدعابة وبدأ يأخذ الحوار بجدية تامة، ترك عُمر يتكلم ويتكلم ثم قال في هدوء:

- عُمر، إنت عارف انا باحبك قَدْ إيه، ولو عايز رأيي بصراحة،

باباك صح، وخايف عليك، اسمع كلامه لأن دا كلام المنطق، وبعدين لو مريم لها فرصة واحد في الميَّة كنت هاقول لك انتظر واوعى تتخلى عنها، يا رب الحَمَل يحصل بعد عشر- سنين، لكن مريم مع الأسف ما فيش أي أمل انها تكون أم، يبقى تنتظر ليه؟ خد الخطوة، وفرح ابوك، وهات عيل يبقى سندك، وعلى رأي والدك العُمر بيجري.

عاد عُمر إلى بيته متأخراً وما اعتاد أن يتأخر إلى هذا الوقت منذ زواجهما، كانت مريم في انتظاره ويتملكها القلق عليه، هرولت إليه وهي تطمئن عليه في قلق، ما اعتاد قَطُّ أن يتأخر إلى ساعات الصباح الأولى، ما اعتاد أن تطلبه هاتفياً ولا يَرُدُّ، لقد اتصلت به عشرات المرات وكاد القلق يفترسها، عاتبته برقة بالغّة، اعتذر إليها، مع الأسف الهاتف كان صامتاً ولم ينتبه إلى اتصالاتها، اعتذر إليها بكل رقة وهو لا يعلم إن كان يعتذر إليها عن التأخير أم عن أشياء أخرى قد تحدث دون إرادته، اعتذر إليها بتأثر، لم يُطمئننها بل أشعرها أنه ليس بخير، سألته بكل حُبٍّ عن حاله، لا يعينها فيما أمضى- ساعات التأخير لكن يعينها هو، كل ما يُهمُّها أن يكون بخير، أخبرها أنه مرهق فقط، لكنَّ عينيه كانتا تنطقان بما لم ينطق به، قرأت سطوراً من الحزن والحيرة والألم لم يفصح عنها، ارتمى عُمر في فراشه، استسلم للنوم كأنه يريد أن يهرب من نفسه وأفكاره، ومن كل شيء، استسلم للنوم في حضنها ليهرب إليها من نفسه ومن العالم كله، في حضنها فقط سيطمن ويهدأ ويعرف النوم إلى عينيه سبيلاً، بينما هي لم تنم قَطُّ، ظل عقلها يفكر، كانت تعلم أنه عند والده، ماذا حدث؟ هل حَدَث خلاف بينه وبين والده؟ أرهقها التفكير، وكل الاحتمالات التي تفكر فيها مزعجة، تسلمت في هدوء كي تشرب فنجان قهوة، جلست أمام شاشة التلفاز وبدأت تنتقل بين القنوات، تريد صوتاً يعلو على صوت صراعاتها وأفكارها المزعجة، أشرقت الشمس وأصبحنا في يوم جديد، توقفت أمام فيلم عربي قديم، وبكت على «نوال» في نهر الحُبِّ وهي تُنهي حياتها بعد أن فقدت كل شيء، انهمرت دموعها كأنها كانت حبيسة تنتظر الانطلاق، انهمرت دموعها كأن لحظة موت نوال تُجسد موت أمومتها وما قد يتبعها من خسائر، لم يتبقَّ لها إلا عُمر، وإلى متى سيبقى إلى جوارها وقد أصبحَ بئر حرمانه من الأبوة، وحُبِّه لها قيد

حديدي يَحرمه حلم كل زوج؟ إلى متى سيصمد حُبها في قلبه؟ إلى متى؟ لا تظن أنها ستنتظر طويلاً، ربما تأتي الأيام بالجواب سريعاً.

.....

عرفت سمر سِرَّ زيارة عمر، سمعت دون قصد بعض أجزاء من الحديث المغلق حينما كان الأب ينفعل والصوت يعلو، لم تسمع كل شيء لكنها عرفت أنَّ خالها يضغط على ابنه عمر للزواج مرة أخرى لأن زوجته لا تُنجب، ماذا تريد أن تعرف أكثر من ذلك؟ لقد عرفت أهم شيء، ما بين عُمر ومريم سينقطع، هذا الحُب العظيم سيذوب كالجليد أمام شوق عُمر إلى الأبوة، حتى لو استطاع عُمر الصمود سيصمد قليلاً، لا بد في النهاية أنه سيخضع لرغبة والده ورغبته هو شخصياً، لا بد أنَّ عُمر يريد أن يكون أباً، شعرتُ كأن الله يَهَبُ لها مفتاح الحياة، الحبيب الذي مَنّته طويلاً عاد يبحث عن حياة جديدة، ربما حدث كل هذا من أجلها، أحبته سنوات ولم يشعر بها، لم يشعر بها وهما معاً في نفس المكان، وأعمته الشقراء عنها، الآن الشقراء هي سِرُّ تعاسته وعذابه، وعليه أن يبحث عن السعادة بعيداً عنها وَمَنْ سَيَحِبُّه مثلها، ما أروع القَدَر حينما يُعيد إليك أحلامك المستحيلة! ما أجمل تلك الفرصة! بالتأكيد لن تتخلي عن فرصتها الجديدة، إنها قُبلة الحياة على وجه أيامها الراكدة.

مَرُّ الأيام وما زال الجفاء قائماً بين عُمر ووالده، يعامله كأنه مهندس فقط في شركته، لا يتطرق معه إلى أي حوار عائلي، انعكس ذلك على عُمر وأصبح أكثر توترًا وعصبية، كانت مريم تشعر أنَّ هناك أمراً ما، كانت تسأل لكن عُمر لا يُجيب إلا بجملة معتادة، أن ما يضايقه كثرة مهام عمله ومشاكل العمل التي لا تنتهي، كانت تعلم أن هناك حقيقة أخرى، كانت

تعلمها ولا تملك الجرأة الكافية على مواجهته ومصارحته بما لا يستطيع هو المصارحة به.

فَكَرَّ عُمَرُ في الدكتور عبد الرحيم، أراد أن يساعده في تقليل التوتر بينه وبين والده، فهو يستطيع أن يؤدي هذه المهمة الصعبة.

زار عُمَرُ الدكتور عبد الرحيم في بيته، كان في حاجة إليه وإلى نصيحته ورؤيته الثاقبة، فهو دائماً حلقة الوصل بين جيله وجيل والده، اشتكى إليه والدَه وَصَّغَطَه عليه، قَصَّ عليه أمله وحيرته، وعده الدكتور عبد الرحيم أن يتدخل في الأمر وطلب من عُمَر أن يتفهم موقف والده، هُوَ يُحِبُّه كثيراً ويفكر فيما يُسعده أكثر منه، عليه أن يدرك أنَّ غضب والده حُبٌّ له وخوف عليه.

استطاع الدكتور عبد الرحيم فعلاً أن يقنع والد عمر بالتعامل بهدوء مع ابنه، أن يمنحه وقتاً كافياً كي يرتب حياته، أن يستوعب ابنَه ويحاول أن يتفهم ما يعانيه من حيرة واضطراب، عليه ألا يعامله على أنه ابن عاق، أقنعه أن عُمَر يحتاج إلى عطفه وحنانه. استجاب الأب لوساطة صديقه، لعلَّ هذا الأسلوب يُحقق ما يبغيه، فإنه لا يُهمُّه في النهاية إلا سعادة ابنه الوحيد.

.....

كانت ياسمين تفكر كثيراً في مشكلة أختها وتخاف عليها من لحظة يراها الجميع قادمة لا محالة، تلك اللحظة التي يريد فيها عُمَر الارتباط بأخرى، كيف ستصرف مريم؟ لا تملك إلا أن تخرج من حياته وتتركه، أمر شديد

القسوة عليها، لم يتزوجا بشكل تقليديّ مثل علاقتها هي بزوجها السابق، بل قصة حُب طويلة ما تَوَقَّع لها أحد غير الزواج الممتد إلى آخر العمر، ها هي الأيام تكتب علينا النهاية نفسها.

النهاية واحدة، خانها سامح دون أسباب، وربما يتخلى عمر عن مريم رغم كل هذا الحُب، النهاية واحدة، نهاية الألم والفراق، يبدو أن النهايات المؤلمة ترتبط بوجود رجل، أي رجل سواء كان يُحِبُّ أو لا، يُخْلِص أو لا، هو في النهاية مخلوق أناني، مَهْمَا أَحَبَّ فلن يُحِبَّ أحدًا أكثر من نفسه.

لهذا استقرت على أن تكون أيامها لابنتها وعملها، لا داعي لآخر يغدر ويرحل دون أسباب، اتخذت قرارًا أن لا مكان للرجال في حياتها، فلا رَجُل يستحق أن تُفني كيانها في كيانه، أن تَهَبَّ له العمر، ونحن نحيا مرة واحدة، على قدر ما أوجعها سامح قدر ما كشف لها حقيقة مهمة، الوفاء والإخلاص صفتان ليستا في الرجال، لهذا فلا داعي لتكرار تجربة فاشلة وتذوُّق الفشل مرة أخرى، النجاح يناديها هناك حيث عملها ورسالتها الإنسانية السامية، وجنى هي النور في أيامها الذي سَيُضيء لها درب الكفاح ويمنحها القوة لمواصلة طريق الحياة.

بدأت ياسمين يومها كالمعتاد وانتظمت في مستشفى والدها الذي تعطيه أغلب أوقاتها وكل مجهودها.

بجانب عملها الإداري، عملها في قسم الأطفال، كانت هناك حالة تحظى بقدر كبير من اهتمامها، طفل في الثامنة من عمره يعاني ورمًا في المخ وحالته متأخرة جدًّا، كان هذا الطفل يحظى باهتمامها الشديد ليس فقط لحالته الصحية الدقيقة بل لصعوبة حالته الاجتماعية والإنسانية، لقد افتقد حنان الأم مبكرًا جدًّا، حيث ماتت أمه في أثناء الولادة، كان والده الشاب هو الذي يأتي به دائمًا إلى المستشفى في الزيارات المتتابة، لا تعرف عنه إلا اسمه

الأستاذ نادر الصاوي (صحفي)، كان يعتني بطفله ولم ترَ أي أحد يأتي به إلا والده، حتى حينما احتُجز في المستشفى، لم يظهر أي أحد إلى جوار الأب، يبدو أنه وحيد مثل ابنه، الطفل الآن في العناية المركزة في حالة متأخرة جدًا، جميع الأطباء من مختلف التخصصات يتابعون الحالة باهتمام ويحاولون جاهدين إنقاذ الطفل، الأب الشاب ينتظر بشغف وقلق بالغ، ويعلم أن ابنه يصارع من أجل الحياة، هذه حكمة الله، عليه أن يتحمل ويصبر وليس أمامه إلا الصبر على الابتلاء، مضت أيام عصيبة على الأب وعلى الأطباء أيضًا وهم ينتظرون معجزة إلهية، لكن انتهت رحلة حياة الطفل، انتهت معاناته، وفارق الحياة إلى عالم الخلود الأبدي، أبلغت الدكتورة ياسمين الأب بوفاة ابنه، فهي من اكتشفت من البداية الورم الذي أصاب الطفل وهي التي كانت تتابع حالته مع زملائها باستمرار إلى أن رحل، وهي من حملها زملاؤها المهمة الثقيلة بأن تُخبر الأب بوفاة ابنه، لم ينطق ولم يتكلم ولم يتألم بل سقط مغشيًا عليه، كانت الصدمة قوية عليه، كان ما زال يتشبث ببصيص الأمل في حالة متأخرة جدًا. رحل الابن وردد الأب تحت الملاحظة يوميًا واحدًا ثم خرج ليدفن ابنه. كانت تلك المأساة مؤثرة جدًا في ياسمين لا سيما بعد أن تعلقت بالطفل من كثرة تردده عليها، طفل مريض ويقيم يأخذ قلب أي إنسان ببراءته، ظلت بضعة أيام تشعر بحزن وألم ثم بدأت صورة الطفل تتوارى في زحام الأيام.

.....

لم تشعر سوسن بالسعادة بعد أن أصبح زواجها من الدكتور سامح في العلن، لقد كان يحبها أيام أن كان ما بينهما سرًا، كان يأتي إليها بلهفة وشوق، ينبهر بكل اهتمام، بكل شيء بسيط تفعله من أجله، كان يدللها ويتغزل في

بساطتها وتلقائيتها، ويُشعرها أن راحته الحقيقية في هذا الوقت الذي يختلسه من الزمان ليقضيه معها، كان يقضي- معها أقل من ساعتين كلما سنحت الفرصة لكنه كان يُسعدُها بشوقه ولهفته، وابتسامته التي لا تفارق شفتيه في كل دقيقة يقضيها معها، لكن الآن أصبح يتفنن في أن يقضي معظم وقته خارج البيت، يعود من عمله في غاية الإرهاق، حتى يوم إجازته يغرق بين كتبه ولا يغادرها إلا لتناول الطعام أو النوم، يبدو أن كل ما هو في السُر- له لذة ومتعة خاصة. كانت تتساءل في صمت، هل ندم على زواجه منها، هل شعر بالحنين إلى زوجته الأولى، أم إن أخرى تسَلَّتْ خلسة وفي غفلة منها إلى قلبه؟ ربما، الخيانة طبع لن يتغير، أي امرأة يمكن أن تستولي على مشاعره بسهولة كما فعلت هي من قبل. بدأ الشك يستولي عليها ويتغلغل في تفكيرها، قررت أن تفتش عن قلب زوجها لتعرف مبكرًا مَنْ تريد اختطافه، عليها ألا تغفل، مِنْ حقها أن تحافظ على حياتها واستقرار زواجها.

الفصل الثامن

كانت ياسمين جالسة في مكتبها في المستشفى تتابع عملها بشغف شديد وتقوم بالشق الإداري بتركيز بالغ، لكن جاءها زائر لم تتوقع أن تراه مرة أخرى، إنه الصحفي نادر الصاوي، أقبل في بذلة سوداء أنيقة، تفوح رائحة عطره من بعيد، ربما بدا لها أنه وسيم جدًا لدرجة لم تلاحظها من قبل، لم تنتبه إلى عينيه البُنِّيَّتين وشعره الناعم وملامحه المتناسقة وقامته الطويلة، كأنها تراه لأول مرة، رجّبت به، بدأ حديثه بالاعتذار قائلاً:

- أنا آسف اني جاي من غير ميعاد، أنا مش هاخذ كثير من وقت حضرتك، الحقيقة كان فيه هدية إبنني كان مشتريها لحضرتك وكان مصمم يقدمها لك، لكن حالته اتدهورت وحصلت الوفاة بعد كدا، من يومين وأنا في أوضته انتبهت للهدية وافتكرت انه كان نفسه قوي يقدمها لك، لو تسمح لي أقدمها لك، وهاكون سعيد قوي لو قبلتها.

أمسكت ياسمين بالهدية، وفتحتها في شغف وارتباك وحزن، كانت ساعة فضية جميلة، لمعت الدموع في عينيها وقالت في هدوء:

- حلوة قوي، أنا مش عارفة اقول ايه، ربنا يرحمه.

- هو كان بيعبك قوي، وكان بياخذ الأدوية عشان ما تزعلش منه، الحقيقة فيه هدية مني مش عارف هتقبلها ولا لأ، دي رواية من تأليني صدرت من أيام، ودي نسخة هدية لحضرتك، يبقى حظي حلو لو قرأتها واتمنى لو اعرف رأيك.

- معقول؟! طبعًا هاقرأها، واثقة انها هتكون جميلة.

- أنا آسف كمان مرة، ويا رب ما اكونش طولت على حضرتك.

انصرف نادر الصاوي وظلّت هي تتأمل الساعة الفضية دقائق وتتذكر الطفل، الملاك الذي رحل عن عالمنا المزعج بعد رحلة شاقة من الألم تَحْمَلُها بكل شجاعة وصبر، صبر يفوق عُمره بسنوات، إنها هدية جاءت لها من ملاك صغير، أَحَبَّها بصدق وبراءة لا تَقْبَلُ الزيف، لهذا لامَسَتْ قلبها ولم تُصبح كأى هدية بل ستذكرها دائمًا بالملاك الصغير.

انتهى يوم ياسمين في المستشفى وعادت لتمنح جنى الاهتمام والرعاية، قضت معها وقتًا رائعًا حتى جاء موعد نوم الطفلة، بقيت إلى جوارها إلى أن تعمقت في أحلامها ثم تسللت في هدوء إلى غرفتها ومعها الرواية التي أهداها إليها نادر الصاوي، كان مكتوبًا عليها:

«إهداء إلى روح ابني الحبيب وإلى مَنْ غمرته بحنان أفقده طوال عمره وحبُّ صادق خفف معاناته في أيامه الأخيرة قبل الرحيل (ي.ح).».

فوجئت ياسمين أن الرواية مُهداة إليها، هي لم تتخيل يومًا أنها أُثرت إلى هذا الحد في حياة الطفل، لم تكن هذه فقط هي المفاجأة، كانت الرواية رائعة جدًا لدرجة أنها سهرت على غير عاداتها كي تنتهي منها كاملة. لم تتخيل أن نادر كاتب متمكن إلى هذا الحد، لا تعرف هل له روايات أخرى أم إنها أول أعماله الأدبية، حَقًّا إنه أهدى إليها عملًا أدبيًا بديعًا استمتعت بكل كلمة فيه وعاشت مع أبطاله الكثر قصصهم الشيقة. انقضت الليلة في القراءة وعليها أن تنام قليلًا كي تستطيع أن تباشر عملها صباحًا، أغمضت عينيها وهي تفكر في أبطال الرواية إلى أن راحت في سبات نوم عميق.

مضت ساعات النوم وأفافت على أشعة الشمس القوية تتسلل إليها من النافذة، وكانت صدمة عندما فوجئت أن الصباح قد مضى— وجاء وقت الظهيرة، نظرت إلى هاتفها، وجدت اتصالات عدة من المستشفى، قررت أن اليوم إجازة وستبقى في المنزل، قضت بعض الأمور العالقة في العمل تليفونيًا وأجلت الأخرى للغد. أسرعرت إلى غرفة جنى فلم تجدها، رأتها جالسة مع جدتها في الحديقة، جلست معهما وقضت يومًا مختلفًا ووعدت جنى أن تخرج معها في المساء إلى حيث ترغب، كانت سعادة جنى بهذه النزهة المفاجئة كبيرة، وبدأت تفكر الصغيرة أين ستذهب، بينما جلست ياسمين تُقلّب في هاتفها، وتقلب في صفحات السوشيال ميديا بعض الوقت ثم تذكرت نادر الصاوي، فبحثت عن أعماله الأدبية وبالفعل وجدت أن له خمس روايات سابقة للرواية الأخيرة، وانتبهت أن الرواية الأخيرة حققت نجاحًا ورواجًا كبيرين في الأيام الأولى لإصدارها.

يبدو أنها أمام أديب مميز وواعد، لكن ألا يجب أن تُبلغه رأيها في الرواية وتشكره على إهدائها إليها؟ ألا يجب أن تهنته على هذا الإبداع؟ كيف تتواصل معه وهي لا تعرف رقم هاتفه؟ الأمر ليس صعبًا إطلاقًا، تستطيع أن تصل إلى رقم هاتفه، لا بد أنه موجود في سجلات المستشفى عندها، لكن لا بد أن تفعل ذلك فهو يستحق الإشادة والتهنئة لعل ذلك يحو بعض آلامه ويمنحه ولو قليلًا من السعادة.

في اليوم التالي حصلت ياسمين على رقم هاتف نادر الصاوي واتصلت به، وبدأت المحادثة قائلة:

- صباح الخير.

- صباح الياسمين يا دكتورة.

- الحقيقة مش عارفة اشكرك على إهداء الرواية ليّ ولا على العمل الأدبي البديع دا، الرواية تحفة.

- أولًا الإهداء دا أقل شيء اقدمه للإنسانة الوحيدة الي قدرت تسعد ابني في أيامه الأخيرة، بس يا ترى لحقتِ تخلصي الرواية بالسرعة دي؟

- أنا بدأت فيها ما قدرتش انام غير لما اخلصها، فعلاً حلوة قوي، ما كنتش اعرف ان حضرتك أديب كبير.

- الحقيقة انا ما كنتش أديب كبير غير من ثلاث دقائق بس، دي شهادة أعز بيها، رأيك في الرواية نجاح جديد للرواية وليّ، أنا باشكرك على اهتمامك.

انتهت المحادثة لكن ياسمين بعد المكاملة ليست كما كانت قبلها، شيء ما تَغَيَّرَ فيها، شعرت ياسمين بشيء مجهول يجذبها إلى هذا الرجل، لا تعلم: أهو تعاطف معه أم إعجاب به، أتنجذب إلى الأب المكلوم أم الأديب الحالم، لا تعلم، لقد تَمَنَّتْ لو طال الحديث لكن لم يكن شيء آخر يقال، ماذا أصابها؟ لا بد أن تستفيق سريعاً، لن يدفعها أحد مهما كان أن تُغَيِّرَ مسار حياتها المرسوم، أيامها تجري بين جنى وعملها فقط، فَلْتُبْقِ على أيامها هكذا، تسير في هدوء وسلاسة، لن تسمح لأي شيء آخر يعبث بسنوات عُمرها من جديد، فقط عليها أن تركز في حياتها كما رسمت وكما خططت لها أن تكون.

.....

جلست الأم إلى جوار ابنها أمجد، تسأله عن أحواله وأفكاره وما ينوي أن يفعل في حياته، كان أمجد يعرف مقصد الأم، هي تريده أن يتزوج، هذا هو السؤال الذي لا تَمَلُّ تكراره، حتى لو لم تسأل يقروؤه في عينيها، كثيراً ما تسأل

وكل مرة يجيب أنه لا يفكر في هذا الأمر الآن، ولماذا يفكر في مسؤولية
وقيود وهو يحيا الآن بكامل حريته؟ ماذا قَدَّم الزواج إلى ياسمين؟ وماذا
قَدَّم الزواج إلى مريم؟ الكل يعاني، وهو مَن يحيا في هدوء وراحة بال، لن
يسعى إلى الزواج، سيترك الأمر يأتي بغتة، قضاءً وقدرًا، كيف ذلك؟ لا يعلم،
لكنه في غاية السعادة والحرية، ومن الغباء أن يضحي بكليهما ليخوض
تجربة الزواج، تجربة شاقة ومرهقة بلا أي ضمانات للنجاح، لم يكن الحب
كافيًا ليضمن السعادة لعُمر ومريم، ولم يكن الزواج التقليدي كافيًا ليضمن
السعادة والاستقرار لسامح وياسمين، عليه أن يسعد بالحرية أطول وقت
ممكن، إنه يرفع شعار «تحيا العزوبية» عن قناعة.

.....

هدأ التوتر بين عُمر ووالده، وكَفَّ الأب عن الحديث مع ابنه في موضوع
الإنجاب، تنفيذًا لوعده للدكتور عبد الرحيم، أراد أن يمنح ابنه فرصة
الاستعداد النفسي لخطوة صعبة لم يخطط لها يومًا ولم يتوقع أن يُقَدِّم عليها
في أي مرحلة من حياته، لكن كثيرًا ما تُفاجئنا الأيام بما ليس في الحسبان،
وكذلك عُمر كان سعيدًا بهدوء والده وانعكس ذلك على حياته الخاصة
والعملية، لكن مريم لم تسعد ولم تهدأ بل كانت تشعر أن هذا هو الهدوء
الذي سبق العاصفة، كلما تَحَدَّثَ معها عمر ظنَّت أنه سيخبرها بأنه
سيتزوج لكنه لم يفعل، ولكن بالتأكيد يومًا ما سيفعل، سيخبرها أنه آسفًا
سيبحث عن الأبوة. أرهاقها القلق وانتظار العاصفة، قررت أن تُنهي الانتظار،
كانت الحادية عشرة مساءً، دخلت إليه في مكتبه وهو غارق بين أوراقه
ومراجعة مشروعاته، كانت تبدو مرتبكة فقالت بصوت متقطع:

- أنا كنت عايزة اتكلم معاك شوية، ولا مشغول؟

- الحقيقة مشغول، بس انتِ أهم.

- لا خلاص بعدين.

هممت بالخروج مسرعة، استوقفها قائلاً:

- مريم، فيه إيه؟

قام من مقعده واقترب منها، وقال:

- تعالي بس نقعد الأول وقولي لي حبيبتي ما لك.

جلست إلى جواره وبدأت تتحدث وهي في ارتباك شديد:

- عُمر، فاكّر الفترة اللي قعدتها عند ماما بعدما عرفت اني مش هاكون
أم؟ عارف انا كنت بافكر في إيه؟

- الفترة دي كانت صعبة ومش عايزين نفتكرها.

- أنا كنت بافكر هاعمل ايه، ويا ترى هينفع نكمل حياتنا مع بعض،
سؤال صعب قوي، فكرت في اللي عمري ما تخيلت اني افكر فيه، فكرت في
الطلاق، مش بس فكرت، حاولت اني آخذ قرار الطلاق، عشان كذا كنت
باهرب منك ومش باكلمك، حاولت اجرب اعيش من غيرك، حاولت اتصور
حياتي من غيرك.

- ياه يا مريم، إنتِ ازاي قدرتِ تفكري كذا؟ إحنا ما نقدرش نعيش من
غير بعض، صدقيني ما فيش حاجة ممكن تغير مشاعري ناحيتك أبداً، أنا
باحبك وما فيش حاجة تبعدني عنك غير الموت.

- الموت، فعلاً حسيت اني باموت وانا بعيدة عنك، مجرد فكرة اني اخرج
من حياتك كافية انها تنهي حياتي، وعرفت اني وجودي جنبك هو كل الحياة.

لكن في نفس الوقت حُبِّي ليكَ يَمْنَعُنِي اني اكون أنانية، واقبل انك تحرم نفسك من انك تكون أب. عُمر، أنا موافقة انك تتجاوز، موافقة أن يكون في حياتك واحدة ثانية تقاسمني حبك وقلبك ومشاعرك. أنا باحبك، باحبك وبس، حب من غير شروط، كفاية اني اكون جزء من حياتك.

لم تتمالك دموعها وانهارت من البكاء وارتمت في حضنه لثُشْفى من طعنة قرارها بين يديه، ففي حضنه تبدأ الحياة وتلتئم الجراح، احتضنها بقوة وهو متأثر بحديثها ويعلم كم الألم الذي تعانيه، فقال بصوت متقطع:

- أنا باحبك، باحبك انتِ وبس ومش عايز حاجة ثانية من الدنيا، مش عايز اسمع الكلام دا تاني، أرجوكِ.

كانت مريم صادقة وهي تصف حُبَّها واستعدادها لقبول أخرى في حياته، وهو أيضًا كان صادقًا حينما أخبرها أنه يحبها، لكن هل يستطيع أن يتحدى والده؟ هل يستطيع أن يكون أقوى من رغبته في إنجاب الأطفال؟ ربما كانت هي أقوى منه واستطاعت أن تختار وتقرر، بينما ما زال هو حائرًا لا يعرف ماذا يفعل، تُرى هل حُبُّها له أكبر؟ قالت كلماتها وهي تظن أنها منحه الحرية المطلقة ورفعت عنه كل الحرج وجرحت قلبها بيدها وتأم من الجرح وحدها، لكنها في الحقيقة ألقت به إلى متاهة الحيرة، ليتها خيّرتة بينها وبين الزواج من أخرى للإنجاب، كان الأمر أسهل بكثير، نعم، لأنه لا يستطيع الحياة دونها، حقًا فهو لن يستطيع الحياة دونها، هي القلب الذي ينبض فيمنحه الحياة، فكيف يحيا دون قلبه؟ لكن هل يتزوج من أخرى؟ وكيف يحيا بقلب جريح؟ أليست هي قلبه؟ كيف يسمح لنفسه أن يجرحها ويطعنها بيده دون رحمة؟ كيف يعاقبها على ذنب لم تقترفه؟ يا لها من حيرة! يا لها من معاناة.

انقضت الليلة وعاد عُمر إلى عمله في اليوم التالي وَحَيَّرَتْهُ مَعَهُ أَيْنَمَا يَكُنْ،
شعر أنه لا يَقْدِرُ عَلَى العمل أو التفكير، عقله مشّت وقلبه ممزق، قرر أن
يأخذ إجازة، طلب من والده إجازة رسمية مدة أسبوع، وافق والده وأخبره
أنه بعد العودة سيكون لهما حديث مطول في أمور عدة، كان عُمر يدرك أن
والده لا يريد الحديث في مواضيع عدة بل إنه موضوع واحد سيدور حوله
النقاش والخلاف والاختلاف، لكنه لا يريد الآن إلا أن يرتاح من هذا الصراع
النفسي— الذي يُدَمِّرُهُ، عاد إلى البيت، كانت مريم تقرأ في كتاب طبي،
اندهشت لأنه عاد سريعًا وسألته:

- فيه إيه يا عُمر؟ إنت جاي بدري، إنت كويس؟

- وحشتيني، قلت آجي أخذك ونهرب للساحل.

- إنت بتتكلم بجد؟

- يلا، اجهزي حالًا.

- إنت بتهزرا!

- خالص، هنسافر حالًا.

أحيانًا نحتاج إلى قرار مفاجئ لننتحر من قيود أوجاعنا، لنعلو فوق
جراحنا، لنُحَلِّقَ في سماء أحلامنا، مهما كانت الأيام قاتمة، فما زال هناك سماء
وشمس تبعث الضياء لتُحيي الأمل في القلوب. سافر عُمر بزوجه لينسى كل
شيء، يكفي أن يكون هو وهي وحبهما والطبيعة الساحرة، فليتركا الحيرة
والقلق والألم خلفهما ويتذكرا فقط هذا الحب الذي جمعهما، حقًا كان
أسبوعًا رائعًا أعاد أحلى أيامهما معًا.

غمرها بِحُبِّه وحنانه، كأنَّ عشقهما في مهده لم تَلَوْنَه الجراح، نقيّ صافي كالسماء التي تظللها، هَرَبًا مَعًا إلى عالم حُبِّهما، إلى جَنَّة مشاعرهما الصادقة، بعيدًا عن كل شيء يعكّر صفو الحياة، حَقًّا كان أَسْبوعًا في الجنة. ولكن الجنة على الأرض لا تدوم، عاد الزوجان إلى حياتهما وعملهما.

كان مراد في انتظار ابنه واجتمع به اجتماعًا مُغْلَقًا.

كان عُمر يعرف أن الاجتماع ليس له علاقة بالعمل، لم يَعُدْ شيء يُهِمُّ مراد ويشغله إلا موضوع واحد فقط، هو أن يتزوج عُمر لينجب ويصبح أبًا. وعاد الأب يسأل من جديد:

- ها يا عُمر، فاتحت مراتك في موضوع الجواز الثاني؟ عايزين نخلص القصة دي في أسرع وقت، لو فيه عروسة انت مختارها أنا موافق، لو ما اخترتش، والدتك تساعدك، المهم نخلص من الموضوع دا.

- أنا آسف، أنا مش هاقدر اتجوز ثاني، أنا راضي بنصيب، أرجوك سامحني يا بابا، دا قراري النهائي بعد تفكير طويل، واثمني حضرتك تقفل الموضوع دا تمامًا.

- يعني اشتريت خاطر مراتك، وانا ما ليش قيمة عندك.

- لا يا بابا، الموضوع ما يتحسبش كدا.

- خلاص يا باشمهندس، اعتبر دورك معانا هنا خلص، وما اشوفش وشك في الشركة ثاني، سلم كل الشغل اللي عندك واتفضل.

انقلب الأب على ابنه العنيد، الذي يبدو أمامه كأنه مسلوب الإرادة، فاقد الرشد، ضعيف الشخصية أمام زوجته، تقوده مشاعره بلا وعي.

انصرف عُمر وعاد إلى بيته وهو مذهول من رد فعل والده، لم يتوقع إطلاقاً أن يكون بهذا العنف، عاد ويبدو عليه الضيق والحزن، شعرت مريم أن هناك أمراً ما غير جيد لكنه لم يخبرها بشيء، كل ما قاله أنه يريد أن ينام. لا تعلم ماذا حدث، ورغم يقينها أن هناك شيئاً يضايقه تركته يرتاح ويهدأ دون أسئلة كثيرة مزعجة، فلتصبر قليلاً من الوقت، الصبر دائماً معه الفرج.

أفاق عُمر من نومه وكانت مريم تنتظره لتناول الغداء، يبدو أنه ما زال متأثراً بالأمر الذي لم يخبرها به، بعد الغداء جلسا معاً لمشاهدة التلفاز، ليس كعادته، يبدو سارحاً، سألته عما يشغله، أخبرها (لا شيء)، إرهاق فقط لا غير، أدركت أنه لا يريد أن يتحدث، صمتت، وعيناها تراقبان صمته وحيرته التي تطل من عينيه لتخبرها بما يُخفيه، هناك أمر كبير يشغله ويؤرقه، ولا يريد أن يخبرها به. جاءته مكالمة هاتفية، رأت اسم الدكتور عبد الرحيم على شاشة الهاتف، ارتبك عُمر ولم يرد، عاود العم الاتصال به، فأخذ الهاتف وذهب للحديث في الحديقة، كانت تراه من بعيد يتحدث بانفعال شديد، لم تعتد أن يتكلم مع دكتور عبد الرحيم بهذه الطريقة، ربما لم تره من قبل بهذا الانفعال الشديد.

أنهى عُمر مكالمته، وأخبرها أنه سيخرج وربما يسهر مع صديقه علي، وعليها ألا تقلق إن تأخر بعض الشيء. خرج عُمر مسرعاً، شعرت أنه يريد أن يهرب منها قبل أن تسأل من جديد عما يضايقه، بعد قليل من الوقت خرجت هي أيضاً إلى عيادتها، قمر الساعات وانتهى العمل، ما زال الفضول يدفعها أن تعرف ما حدث، وما يؤرق زوجها، تواصلت هاتفياً مع الدكتور عبد الرحيم الذي أخبرها أنه يصعب الحديث عبر الهاتف، والأفضل أن

تذهب إليه، مرّت عليه في المستشفى لزيارته، جلسا معًا في مكتبه على انفراد، وسألته من جديد:

- تقريبًا حضرتك عارف فيه إيه، وإيه مشكلة عُمر، أنا حاسة انه في مشكلة كبيرة ومش عايز يقول لي أي حاجة.

-المشكلة انتِ، هو محتار بين حُبّه ليكَ وبين ضغط مراد عليه.

أخبرها الدكتور عبد الرحيم بما انتهى إليه خلاف عُمر مع والده، الذي انتهى اليوم بطرد عُمر من الشركة، أخبرها العُمُ بكل شيء لأنها ستعرف كل شيء في النهاية، حبست دموعها وتحكمت في حزنها وأخبرته أنها تركت لِعُمر حرية الاختيار، بل وافقت أن يتزوج عليها، وافقت أن تكون إحدى زوجاته كي تُريحه من هذا الصراع، وَعَدَت الدكتور عبد الرحيم أنها ستتدخل لإنهاء تلك الأزمة في أسرع وقت، كان الدكتور عبد الرحيم معجبًا بِقُوّتها ومواجهتها الموقف بكل ثبات، أدرك أنها كبرت ونضجت ولم تُعَد في حاجة إلى دعم أحد، بل أصبحت قادرة على مواجهة كل شيء بكل شجاعة.

عادت مريم إلى بيتها وجلست تنتظر زوجها الذي عاد بعد منتصف الليل، ما زالت ملامحه تَصِفُ حزنه الشديد الذي يُنكره، أخبرها أنه تناول العشاء مع صديقه ويحتاج إلى النوم، هرول إلى غرفة النوم، وأسرعت خلفه، استبدل ملابسه سريعًا واتجه إلى فراشه كأنه يختبئ في صومعة النوم مِن أسئلتها وَمِن همومه وَمِن كل شيء. فقالت بهدوء شديد:

- حبيبي، النوم مش هو الحل، أنا عرفت كل حاجة، ولو بتحبني حقيقي لازم ترضي والدك يا عُمر، إنت ابنه الوحيد.

فوجئ عُمر بأنها عرفت كل هذه التفاصيل، فجلس في انفعال شديد.

- مين اتصل بيك؟ ومين الي قال لك كل دا؟ ماما؟

- لا والله يا عُمر، ما حدش خالص كلمني، أنا كلمت عمي عبد الرحيم
وقابلته بعد العيادة وهو قال لي كل حاجة.

- مريم، أنا معايّ فلوس واقدر ابدأ مشروع خاص بيّ، أو اشتغل في أي
شركة كبيرة، أو حتى اخذك ونسافر أي بلد نعيش في هدوء.

- وعمي مراد يا عمر؟ مش ممكن عُمر حبيبي يتخلى عن والده في السن
دا، عمي ممكن يروح فيها يا عمر، إنت بتقول ايه بس؟!

- تعبت، تعبت فعلاً، بابا محاصرني، أنا مش عارف اتنفس.

- باباك صح يا عمر، بكرة تروح تصالحه، أرجوك يا عمر.

صمتت مريم، ومن جديد أرادت أن تفك قيود عشقه وتحرره ليُحلّق
على أي غصن يختاره. وكلما منحته حرية القرار زاد ألمه وزادت حيرته. ما
أصعب أن تأخذ قراراً ترفضه بقلبك ومشاعرك وكيانك! الجميع يدفعه إلى
المجهول ولا يعلم هل سيكسب راحته حقاً أم سيخسر كل شيء.

الفصل التاسع

اعتاد أمجد أن يقضي- معظم أوقاته في عمله في المستشفى الخاص به، وكان عليه معظم الأعباء الإدارية، كانت ياسمين تساعد في الشق الإداري لكن كان دورها الأكبر في متابعة العمل الطبي في أقسام المستشفى المتعددة، كان لا بد من عمل دؤوب مستمر للحفاظ على هذا الصرح الذي أنشأه والده.

تمَّزُّ أيامه ما بين العمل المتواصل وبعض أوقات الفراغ القليلة يقضيها مع أصدقائه، وفي ليلة كان في طريق العودة إلى منزله في المساء، وفجأة سقطت أمام سيارته فتاة، بالكاد استطاع أن يوقف السيارة قبل الاصطدام بها، نزل من سيارته للاطمئنان عليها، كانت فاقدة للوعي تمامًا، حَمَلَهَا مسرعًا إلى سيارته وعاد فورًا إلى المستشفى لإسعافها، تَمَّتْ إفاقتها وطلَّب منها أن تبقى أربعًا وعشرين ساعة تحت الملاحظة، شكرته الفتاة كثيرًا، وكانت تبدو متوترة وقلقة وأخبرته أنها يجب أن تخرج حالًا، لا بد أن تعود إلى والدتها، أكد لها أن الأفضل أن تبقى في المستشفى، رفضت تمامًا لأن والدتها مريضة في المنزل ولا يمكن أن تتركها وحدها، سمح لها بالخروج وسألت وهي تغادر المستشفى عن تكاليف العلاج، أخبروها أن الدكتور أمجد طلب منهم عدم أخذ أي نقود منها، عادت إليه في مكتبه لتشكره.

دخلت الفتاة العشرينية في حُطَى بطيئة وخجل شديد، كانت رشيقة القوام، ملامحها كضوء القمر، إنه الجمال الهادئ الذي يتسلل في رقة دون

استئذان، شعرها الأسود الطويل ينساب كستارة حريرية ليغطي خصرها،
قالت في صوت رقيق:

- مش عارفة اشكر حضرتك ازاى، أنا كنت مرتبكة لما فُقت، ومن قلقي
على ماما نسيت اشكرك، فقلت لازم ارجع اشكر حضرتك.

كان يسمعها في تركيز وعيناه تتأملان عينيها العسليتين الجذابتين، فقال
مبتسمًا:

- العفو يا آنسة نرمين، الحمد لله انها جات سليمة، يا ريت ما تبقيش
تنزلي وانتِ تعبانة تاني.

هَمَّت بالانصراف، استوقفها قائلاً:

- متهياً لي الوقت متأخر، إيه رأيك اوصلك؟

- شكرًا يا دكتور، أنا هاتصرف، كمان لَسَّا هاشتري لماما الدَّوا اللي كنت
نازلة اشتريه.

- بسيطة، نشتره.

كان معها في منتهى الرقة، لقد مرَّ بسيارته على أكثر من صيدلية حتى
وجد علاج الكلى الذي كانت تبحث عنه ودفع ثمنه أيضًا، وأوصلها إلى بيتها،
ثم عاد إلى بيته وهو يفكر فيها، لا يعلم لماذا، فيها سحر جذبته دون أن
يدري، هل هو سحر جمالها؟ كم رأى جميلات ولم ينبهر بإحداهن ولم
ينجذب إليهن، كان يتمنى لو يعرف عنها كثيرًا لكنه أُخرج أن يسأل أسئلة
ستبدو مقلقة لها. عاد إلى البيت بعد ليلة حافلة بالمفاجآت والأحداث لكنها
كانت ليلة جميلة أو هكذا تبدو له.

في صباح اليوم التالي، وجد أمجد نفسه ما زال مشغولاً بها، ما زال يفكر فيها، ما زال يسأل نفسه من تكون، ظل السؤال يطارده أياً ما لا يفهم لماذا، لكن ما الذي يمنعه أن يعرف مَنْ هي وَمَنْ تكون؟ بإمكانه أن يعرف كثيراً عنها، بإمكانه أن يُرضي فضوله ويتخلص من هذا السؤال الذي يطارده بلا هوادة ليل نهار، نعم سيعرف مَنْ هي، مَنْ تلك التي اخترقت جدران قلبه دون استئذان وشغلت تفكيره في وقت قصير لا يُحسب من عمر الزمان، بدأ أمجد يبحث عن إجابة لسؤاله (مَنْ هي نرمين؟ من تكون؟).

.....

فاجأ نادر الصاوي ياسمين من جديد، حيث عاد لزيارتها في المستشفى زيارة خاطفة كالمعتاد، قدّم إليها الدعوة بحضور ندوة حول روايته الجديدة، أخبرها بالموعد والمكان وطمّئ لو شرفته بالحضور، لم يقصّ معها أكثر من خمس دقائق، هكذا هو دائماً يظهر فجأة وسط زحام أيامها، يُضيء الأيام كالبرق الخاطف وفي لمح البصر يختفي، وَعَدَّته أنها ستحاول تلبية الدعوة.

بعدما انصرف راجعت مواعيد عملها وهل ستتمكن من الحضور أم لا، إنها بكل صراحة تريد الحضور، بل فكرت مع نفسها دقائق في أن تستعد لهذه المناسبة كي تبدو أجمل امرأة في تلك الندوة، سرحت بخيالها بضع دقائق تفكر في لون الفستان، وأي الألوان أجمل، وكيف سيكون شعرها، منذ فترة طويلة لم تهتم بحضور مناسبات، لماذا الآن تهتم وترتب للحضور؟ غريب أمر هذا الرجل، رغم أنها تحدثه دقائق معدودة، فإنه يجذبها إليه بكلماته القليلة بشكل مدهش، لا تعلم لماذا تتعاطف معه حتى الآن، لقد تجاوز محنته وفي وقت قصير، لكن لماذا هو أيضاً يهتم بها؟ هل هو حقاً

يهتم بها أم إن هذا شيء عاديّ يفعلُه مع جميع من يعرفهم؟ أهكذا المبدعون لا يحتاجون إلى كلمات كي يتقربوا مِنّا؟

وبينما هي تفكر في نادر الصاوي جاءها زائر آخر لم تتوقع زيارته، إنه سامح، أخبرها أنه يريد الحديث معها في أمر مُهم، في الحقيقة هي لا تريد أن تراه من الأساس، فقالت بانفعال:

- أنا عندي شغل، وهنا مش مكان الكلام في أي حاجة غير الشغل.

- أعمل ايه؟ كل ما اجي اشوف جنى مش باشوفك خالص.

- تشوفني ليه يا دكتور؟

- ياسمين، أنا مش قادر اعيش مع سوسن.

- وانا إيه علاقتي بالموضوع دا؟ ما فيش أي كلام ممكن يكون بينّا إلا لو حاجة تخص جنى.

- أنا جاي عشان جنى، باحبك يا ياسمين، جنى بنتنا تستاهل انك تديني فرصة ثانية واوعدك مش ممكن اجرحك تاني.

صمتت ياسمين، بينما سامح ينتظر منها إجابة تسعده، مرّت دقائق ثم قالت:

- آسفة، ما بقاش ينفع يا سامح، بالنسبة لجنى، بنتنا، إحنا الاتنين بنحبها وهي فضل بينّا احترام متبادل، صدقني ما ينفعش نرجع لبعض.

انصرف سامح ومَلَّكَه اليأس مِن أن يعيد حياته السابقة، أدرك أن ما فعله كان رصاصة قاتلة، وما بينهما يحتضر في قلبها وربما مات فعلاً.

.....

مَرَّتْ بضعة أيام وما زال عُمر على عناده، يراه والده عنادًا لكن الحقيقة غير ذلك، الحقيقة أنه غير قادر على اتخاذ القرار، يراه والده أمرًا يسيرًا وحقًا مُستحقًا ويراه طعنة عذاب للإنسانية الوحيدة التي أحبها وأحبتته، حكم بالوجع الدائم لقلب لم يمنحه إلا الحب الصادق، وعدها بالحب والإخلاص طوال العمر، فكيف ينقض عهده في أول الطريق؟ ما زال عُمر في صراع محتدم على أشده في أعماق نفسه، بينما هو جالس في مكتبه جاءه اتصال هاتفى من والدته، حادثته وهي تبكي بانهايار وأخبرته أن والده نُقل إلى المستشفى في حالة حرجة وهو الآن في العناية المركزة منذ ساعة، هرول عُمر ومعه مريم إلى المستشفى، يقود السيارة بسرعة جنونية، إلى أن وصل إلى المستشفى، كان الصديق الوفي الدكتور عبد الرحيم قد سبقه إلى هناك وتحدث مع زملائه الأطباء عن حالة مراد، واطمأن منهم على حالة صديقه وحاول طمأنة عُمر ووالدته.

جلس عُمر وزوجته ووالدته وسمر والدكتور عبد الرحيم أمام العناية المركزة، الوقت يمرُّ ببطء والقلق يسيطر على الجميع، لا أحد يتكلم، كانت فريال تنظر إلى ابنها نظرات قاسية، وكان عُمر يفهم تلك النظرات ويقرأ القصد منها، تُحَمِّلُهُ والدته المسؤولية عن تدهور الحالة الصحية لوالده، لم يكن في حاجة إلى أحد أن يُحَمِّلَهُ المسؤولية بل هو فعليًا يعرف أن خلافه مع والده هو السبب فيما حدث. هرب عُمر من نظرات والدته ووقف بعيدًا وخذّه، تبعه الدكتور عبد الرحيم مُسرِّعًا ووقف معه وبدأ يُطمئننه بأنه يثق أن الأمر سيمُرُّ على خير، بينما ظَلَّتْ مريم جالسة إلى جوار والدته زوجها التي ترمقها بنظرات غاضبة، وسمر تراقب الجميع بتركيز شديد، فإذا فريال هانم تقطع الصمت وتقول لمريم:

- كل الي احنا فيه بسبب أنايتك، كل الي بنيته طول عمري بيتهد،
جوزي بيروح مِنِّي، وعُمر بقى مش شايف ولا سامع غيرك، لو مراد جرى له
حاجة هتبقي انتِ السبب.

فهمست سمر في أذن فريال:

لو سمحتِ يا طنط، دا لا وقته ولا مكانه، أرجوكِ اهدي شوية.

بينما مريم لم تنطق وكأنها لم تسمع، لم تنظر إلى فريال هانم حتى نظرة
عتاب أو لوم، عاد الصمت من جديد، وما زالت كلمات فريال تتردد في أذني
مريم، وشعرت أن دموعها ستغلبها فقامت بسرعة، لاحظ عمر أن مريم
تغادر فأسرع خلفها، استوقفها متسائلًا: «ماذا حدث؟» فأخبرته أنها تشعر
بإرهاق شديد، ستعود إلى المنزل لترتاح قليلًا وستتواصل معه هاتفيًا، كانت
تحدث بارتباك والدموع تلمع في عينيها وأدرك عُمر أن حوارًا ما حدث
بينها وبين والدته، أدرك الدكتور عبد الرحيم أن توترًا ما حدث، فأسرع
إليهما ووجدهما يتجادلان، عُمر مصمم أن يوصلها إلى البيت ثم يعود وهي
مصصمة أن هذا لا يصح وعليه أن يبقى إلى جوار والدته. فعَرَض عليهما
الحل الأمثل أنه سيوصل هو مريم إلى الفيلا بينما يبقى عُمر في المستشفى.

انصرفت مريم مع الدكتور عبد الرحيم، وعاد عُمر ليجلس إلى جوار
والدته، فهمست في أذنه متسائلة:

- معقول دا؟! الهانم بقى لها نص ساعة بتشتكي من كلمتين؟!

- الي هما إيه يا ماما؟ الحقيقة هي ما قالتيش أي كلام.

صمتت فريال وهي لا تصدق أن مريم لم تقل شيئًا، وكذلك صمت عُمر
بعدما تأكدت ظنونه، لكن ليس أمامه إلا الصمت، الصمت في هذا الموقف
هو أفضل شيء.

كانت سمر تراقب وتتابع الجميع، وكيف أصبحت العلاقة بين مريم وعائلة زوجها متوترة للغاية. رغم الحزن الذي يكسو ملامحها لِكُنْ بداخلها ارتياح كبير وشعور بأن كابوس مريم سينزاح قريبًا، ستخرج مريم قريبًا من حياة عُمر وتبدأ الحياة في الابتسام لها، ستملك السعادة التي تحلم بها طول العمر، لكن عليها أن تدعو الله كثيرًا أن ينجو خالها من هذه الأزمة الصحية، خالها هو من سيزيح مريم من طريقها إلى الأبد. خالها سيُدخلها حياة عُمر، بعد ذلك ستملك قلبه كما تَمَنَّتْ ولن تخرج منه أبدًا.

عادت مريم إلى الفيلا وانفردت بنفسها وأوجاعها وتحرر ضعفها من عيون الناس وانطلقت دموعها تشكو ضعفها وقلة حيلتها إلى الله.

بكت كثيرًا إلى أن أتعبها البكاء، ألقت جسدها على الفراش، لعلها تنام وترتاح ولو ساعات قليلة من حزنها، نامت ودموعها تجري حتى وهي نائمة وكأن وجعها لا ينام أبدًا.

حاول عُمر الاتصال بمريم كثيرًا، لم تَرُدْ على مكالماته ولم تتواصل معه إطلاقًا منذ خمس ساعات، بدأ يشعر بالقلق عليها، تَوَاصَلَ مع ياسمين وطلب منها أن تذهب إليها، وتُطمئننه على الفور، ذهبت ياسمين إلى أختها وأخبرتها الخادمة أنها نائمة، فدخلت إلى غرفتها للاطمئنان عليها، استيقظت مريم وتساءلت:

- أنا نمت قَدْ إيه؟ هي الساعة كام؟

- عُمر اتصل بيك كثير قلق عليك، وطبعًا ما ينفعش يقلق وحده، قلقة دا جابني هنا في عشر دقائق ما اعرفش ازاى.

اتفضلي طمّنيه عليكِ وانا هستناكِ بقى نشرب حاجة دافية في الجنينة.
يَلَا يا قمر.

خرجت ياسمين إلى الحديقة وطلبت من الخادمة مشروب نسكافيه وانتظرت أختها، بينما اتصلت مريم بزوجها واطمأنت منه على حالة والده، وطمأنته أنها بخير تمامًا.

جلست الأختان تتبادلان الحديث، حكّت ياسمين لأختها عن نادر الصاوي، وكان مدهشًا لمريم أن تهتم أختها بالروايات وحضور الندوات الثقافية، هذا أمر جديد عليها ولم تعتدّه من قبل، حتى حديثها عن نادر الصاوي يَنُمُّ عن اهتمام شديد وإعجاب به وربما يكون الأمر قد تَخَطَّى الإعجاب بكثير. بينما تحدّثت مريم عن الضغوط التي تُواجهها، عن عُمر الذي يتمزق بينها وبين عائلته، بل فاجأت مريم أختها بأنها تتمسك بحياتها مع عُمر ولن تطلب الانفصال إذا ما قرر الارتباط بأخرى، اندهشت ياسمين من حديث مريم ومن قرارها بالاستمرار مع عمر حتى لو تزوج غيرها، هَلْ حُبُّها لعمر أكثر من حُبِّها لنفسها؟ كيف خضع كبرياؤها لهذا الحب؟ لم تستطع أن تناقشها في قرارها، أشفقت عليها حتى من النقاش، ماذا تقول؟ وكيف تلومها وكل ما تملك يضيع منها؟ لكن كل ما يدور في رأسها كانت مريم تقرأه، هي تعلم أن ياسمين بشخصيتها القوية التي تعهد لها لن يُعجبها هذا القرار، فقالت بحزن شديد:

- ما تستغريش يا ياسمين، أنا فكرت اطلب الطلاق وابعد بس ما قدرتش، حاولت اشيل عُمر من حياتي لاقيتني باحذف عمري كله، طب اعيش ازاي؟ عُمَر في كل يوم من عُمري، عُمر مش جوزي وبس ولا حبيبي وبس، عُمَر عُمري كله بكل أيامه وسنينه ولياليه، لو عُمر مش فيه أعيشه ليه؟!

هكذا أجابت وهكذا عبّرت عن حُبّها له، لم تجد ياسمين أي كلام يقال، صمتت ودعّت الله أن يمنح أختها القوة والصبر لتحمل ما هو قادم.

قضى- عُمر ليلته أمام العناية المركزة بينما استجابت والدته لرجائه بعد إلحاح شديد وعادت مع سمر إلى المنزل على أن تعود صباحًا.

طمأن الأطباء عمر أن حالة الأب مستقرة تمامًا لكنه لن يهدأ أو يطمئن إلا بعد خروجه من هنا سليمًا معافي. تواصل مع مريم هاتفياً أكثر من مرة ليطمئن عليها، اعتذر إليها عمًا بدر من والدته رغم أنه لا يعرف ماذا قالت بالضبط، لكن ليس صعبًا أن يتوقعه، بينما هي أكدت له أن لم يحدث شيء، ووالدته لم تتحدث أي حديث يضايقها، يعلم أنها تنكر، يعلم أنها تحبه ولا تريد أن تزيد توتره، يعلم أنها ملاك لا يعرف إلا أن يُحب ويضحى. كل يوم تثبت له أنها تُحبه فوق حدود الحب بل تحبه أكثر من نفسها.

انقضت الليلة بين قلق وتوتر وتشتت، وقبيل الصباح نام وهو جالس على مقعده، لم يشعر إلا ومريم تهمس في أذنه:

- صباح الخير.

ما كان يتوقع أن تأتي هنا بعد ما بدر من والدته، لكنها جاءت من أجله ومن أجله فقط..

جلسا يتحدثان معًا، وبعد ساعة جاءت سمر ووالدته وجلسوا جميعًا في انتظار أخبار طيبة.

مضت أربعة أيام ومراد في العناية المركزة، بعدها كانت البشرية حيث انتقل إلى غرفة عادية بعد استقرار حالته، وانفرد عُمر بوالده وقَبَّل يديه ورأسه ووعدته بأن سيفعل كل ما يريد، وطلب منه أن يسامحه وأنه أبدًا لن يسامح نفسه إذا كان سبب مرضه، شعر مراد أن ابنه عاد إليه من جديد، وأنَّ محنة المرض كانت المنحة الإلهية كي يعود ولده إلى رشده.

انتهت الأزمة وخرج مراد من المستشفى وعاد إلى بيته، انتهت الأيام الصعبة بالنسبة إلى مراد، وبدأ عُمر يشعر أن الأيام الصعبة ستبدأ في حياته، هذا هو القدر. ومن يهرب من قدره؟

الفصل العاشر

من تكون؟ كان هو السؤال المسيطر على أمجد إلى أن عرف من تكون، تلك الفتاة التي انشغل بها في دقائق ولا يعلم ما السرُّ— الذي يُميزها عن غيرها؟

من تكون؟ هي نرمن سعد الدين، خريجة تجارة وتعمل في أحد البنوك، والدها مُتَوَفَّى وكان لواءً سابقاً في القوات المسلحة، تعيش مع والدتها، وهي وحيدة ليس لها أشقاء، كل ما علمه عنها طيب ويدفعه للتقرب منها، إعجابه بها يدفعه دفعاً للتعرف إليها ولا يعلم كيف يحدث هذا.

لا بد من فكرة جيدة ليبدو الأمر مصادفة. ذهب إلى حيث تعمل وانتظر قدومها إلى العمل، وحينما رآها مرَّ إلى جوارها فاصطدم بها وعاد يعتذر، ابتسم قائلاً: - أما صدفة.

تبادلا السلام والتحية وأخبرته أنها تعمل هنا، وأخبرها أنه يريد فتح حساب بنكي هنا، وبالطبع اصطحبته إلى مكتبها وأتمت الإجراءات سريعاً. شكرها كثيراً، وانصرف بعد أن قضى معها قليلاً من الوقت وأخذ رقم هاتفها، كان سعيداً بما فعل، هل صدقت أن الأمر مصادفة أم أدركت أنه جاء من أجلها؟ لا يعلم إلى أين يقوده هذا الإعجاب، وهل تبادله الإعجاب، لكن في النهاية يكفي أنه سعيد، سعيد لأنه رآها، لأنه تحدّث معها، ما تلك السعادة البالغة التي يشعر بها في كل دقيقة معها؟ ما هذا السحر الذي يكمن في

عينها، في صوتها؟ هل هذا هو الحُب؟ لا يعلم ما هذا الشعور وكيف يصفه، كل ما يعرفه أنه معها فقط يشعر بالسعادة.

.....

جاء موعد الندوة الأدبية للصحفي والأديب نادر الصاوي، بدأت الندوة، كانت عيناه تبحثان عنها بين الحضور، لم تأتِ، هل نسيت الموعد أم لم تكن تنوي الحضور؟ لن يفرق كثيراً، لو كانت مهمة به، كانت ستحضر. مهما كانت مشاغلها، ولو مهمة به لا يمكن أن تنسى. يبدو أنها لن تحضر. بدأ النقاش، وفجأة رآها تدخل القاعة، ابتسم لها كأنه يُريد أن تعرف أنها أهم من كل الحضور، ما أروعها وهي ترتدي الفستان الذهبي! وشعرها ينساب في رقة وبساطة، جلست الجميلة، وشعر أن كل الحضور ينظر إليها، حقاً لها طلة طاغية وجمال يخطف الأبصار، ماذا بهم؟ ألا يستحون؟ ألا يعرفون أنه يغار عليها؟ ليته يستطيع أن يعنفهم جميعاً لكن هذا لا يليق، عليه أن يداري غيظه قبل أن يلاحظها أحد، مرَّ الوقت وانتهت الندوة. صافحته وهنأته على هذا النجاح الكبير، شكرها كثيراً على اهتمامها بالحضور، وعرض عليها أن يتناولوا الغداء معاً، في البداية رفضت، لكن أمام إلحاح الكاتب المستميت وافقت،

أخذها إلى مطعم شهير، وبدأ أن ذوقهما في الطعام متشابه أو ربما متطابق، جلس ينظر إليها، يريد أن يصارحها بمشاعره ولا يعرف كيف يبدأ، كيف هذا وهو مهنته الكلام؟ أمامها لا تطاوعه الكلمات ويعلو صوت قلبه وتتسارع دقاته، وتتوه كلماته، ودائماً ما يتسبب ارتبাকে أمامها إلى نهاية سريعة للقاء دون أن يخبرها بأي شيء، لا بد أن يصارحها اليوم، لا يجب أن يمرَّ اللقاء كأني لقاء سبقه، لا بد أن يتكلم، نعم بعد الغداء مباشرة، سيقول

لها الكلمة التي يريد أن يقولها منذ زمن (باحبك). انتهى الغداء وبدأت تنظر في ساعتها، فقال لها

- متهياً لي ما تأخرناش.

- ما علش، أنا ما باحبش اتأخر على جنى بنتي.

- أنا عايز اقول لك على حاجة مهمة.

- اتفضل.

- أنا ممكن اسألك عن رأيك في؟

- أديب كبير، أنا قلت لك ان الرواية عجبتي فعلاً.

- هو انا ممكن اسألك سؤال ثاني؟

- اتفضل.

- إنتِ فيه حد في حياتك؟ أنا اعرف انك مُطلّقة.

- دا سؤال لا هو في الأدب ولا في الطب، الحقيقة أنا مضطرة امشي.

- أنا آسف، أنا باحبك، هو انا كان المفروض ما اسألش أي أسئلة واقول

باحبك، ما اعرفش ليه قدامك باغرق في شبر مَيّه، الكلام شُغلتي بس معاكِ أنا باتوه في عينيكَ وبس.

فوجئت ياسمين بكلماته، وارتبكت وصمتت ولم تَرُدّ مما أصابه بالقلق والإحباط فقال:

- واضح اني ضايقتك، أنا آسف لو اتعديت حدودي.

- نادر انت فاجئتني، أنا ممكن اكون معجبة بيبك، مشدودة عليك، إنما مش عارفة دا إيه، أنا مرّيت بتجربة فاشلة ومش عايزة اتسرّع. أرجوك تفهمني.

- بالعكس، كلامك طمّني، ممكن قوي الإعجاب يبقى حُب.

- يعني متفقين اننا محتاجين وقت عشان نحكم على مشاعرنا؟

- لا، أنا عارف اني باحبك ومن زمان، من أول مرة شُفْتُك فيها، يمكن الظروف طول الفترة اللي فاتت ما خلتنيش افكر في نفسي- ولا جات فرصة مناسبة اقول لك مشاعري، لكن انا عارف إحساسي بيبك ومصدق، وما عنديش أي مشكلة انك تفكري وتتأكدي انك بتبادليني المشاعر دي.

انتهى اللقاء ولكن ظلّت كلماته لها تتردد في أذنيها، خاصمها النوم أغلب الليل، سهرت تفكر في هذا المحب الذي يدق باب أيامها، فهل تفتح له قلبها وتترك مشاعرها تذوب في الحبّ أم تهرب بعيداً وتحافظ على حياتها كما هي؟ عقلها يخشى- التجربة، يخشى- الألم، يخشى- الفشل، يخشى- الخيانة، وقلبها يبحث عن السعادة، هل يُحبُّها حقّاً؟ وماذا لو كانت مشاعره نحوها رواية من رواياته يُحبُّها بعض الوقت وينساها ليبدأ رواية جديدة؟ عالمه غيّر عالمها، حياته غيّر حياتها، اهتماماته غيّر اهتماماتها، لماذا ظهر في حياتها؟ لقد اكتفت ببنتها وعملها ونسيت الحب والزواج، كيف اخترق عالمها المنضبط بهذه البساطة؟ غريبة تدابير القدر.

.....

عاود أمجد التواصل مع نرمين، استفسر— عن نظام القروض في البنك، الحقيقة أنه لا يريد قرصًا لكنه يريد أن يُحادثها، استمع إلى بعض المعلومات التي أخبرته بها ثم سأل عن صحة والدتها، وطلب منها أن تتابع حالتها في المستشفى عنده، لا سيّما وأن رئيس قسم الكلى في المستشفى أحد أشهر الأطباء في هذا التخصص، وعدّته أن تأخذ بالنصيحة وتأتي بها إلى هناك في أقرب فرصة، لكنه لا يريد أن ينتظر الفرصة بل عليه أن يخلق الفرصة بنفسه، حدد لها موعدًا بعد يومين وأكد عليها ضرورة الحضور.

احترمت نرمين كثيرًا هذا الاهتمام، وحضرت مع والدتها في الموعد الذي حدده لها، واصطحبهما إلى غرفة الكشف، ثم أخبرها أنه ينتظرهما في مكتبه بعد الانتهاء من الفحص الطبي، ارتاحت الأم لحديث الطبيب كثيرًا وتفاءلت بما كتّب لها من أدوية ومَرّت مع ابنتها على مكتب الدكتور أمجد وكلتاها شكرته على الاهتمام، ثم انصرفا.

وبعد يومين تواصل أمجد مع نرمين ليطمئن على صحة والدتها ومدى استجابتها للعلاج، وكانت نرمين سعيدة جدًا بتحسّن حالة والدتها وبالغت في شكر الدكتور أمجد. أكد لها ضرورة المتابعة المستمرة ومراجعة المتخصص باستمرار حتى نحافظ على هذا التحسن، وعدّته بالمتابعة المستمرة والالتزام بتعليمات الطبيب ثم عاودت شكره على اهتمامه. انتهت المكالمة، وما زال قلبه يبحث عن حُجة أخرى للتواصل معها، ليقابلها، بدأ يعترف لنفسه أن الأمر تخطى مجرد الإعجاب بكثير، عليه أن يعترف لنفسه أنه يحبها، ولكن ما شعورها نحوه؟ أتبادل نفس الإحساس أم إن قلبها مشغول بغيره؟ أيصّارحها أم ينتظر؟ ما زال حائرًا لا يعرف ماذا يفعل، إنها حيرة الحب التي لم يَعْشها من قبل ولم يسعَ إليها لكنها اقتحمت أيامه دون استئذان.

.....

تحولت الحياة بين سامح وسوسن من الصمت الممل إلى الشجار المستمر والصدام الذي لا يتوقف، مَلَّت حياتها معه وإهماله لها، لم تتأكد من وجود أخرى في حياته لكنها تأكدت من ندمه على الارتباط بها، لقد أقر بهذا الندم أمامها في إحدى مناقشاتهم الحادة، قالها صريحة دون أي تجميل إن زواجه منها أكبر خطيئة ارتكبتها، وكيف بعد هذا الاعتراف ستستمر الحياة بينهما؟ لقد أصبحت علاقتهما على وشك الانهيار، كلامه الجارح أصبح لا يُحتمل، وحتى لو لم يتكلم، صَمْتُهُ ينطق بندمه، أدركت أنه ندم على فقدان زوجته الأولى وربما يحاول استرضاءها، وربما في حياته امرأة جديدة، الأكيد أنه لا يريد لها في حياته. إنها النهاية التي ما توقعتها، ربما كانت تنتظرها في البداية وما بينهما سر. عندما ظهرت علاقتهما إلى النور وأصبحت زوجته أمام الجميع، وخرجت ياسمين من حياته، ظنت أنها امتلكت قلبه وحياته، ولكن فهمت بعد ذلك أنها ما امتلكت إلا بقايا رجل، في ذلك الوقت كان سامح يستعد لإسدال الستار على حياته مع سوسن، لقد اتخذ القرار، لا بد أن يتحرر من هذا القيد الذي يُدْكَرُه بغائه، ليس من الضروري أن يرضى عنه ياسمين وتعود إليه، لكن ضروري أن يَرْضَى عن نفسه ويعود إلى نفسه، طلاق سوسن هو بداية المصالحة بينه وبين نفسه. لن يستطيع أن يحيا وهو في صدام مع نفسه وقناعاته، انتهى الأمر وانفصلا في هدوء، ووقَّر لسوسن شقة جيدة ووعداها بأن تصل إليها كل احتياجاتها هي وآدم شهرياً دون أي تأخير، وبقي وحيداً في شقته التي تحمل ذكرياته مع ياسمين، جنى مع والدتها وآدم مع والدته وهو وحيد يصارع الندم.

.....

عاد مراد إلى عمله بعد أن استرد صحته، وعاد يطالب عمر بالوعد الذي قطعه على نفسه في المستشفى، لم يَنْسَ عُمر ما وعد به والده، إنه يتذكر جيدًا ومستعد لتنفيذ ما وعد به، نعم سيتزوج بأخرى، وأخبر والده أنه لا تعنيه من تكون الأخرى، كل الأخريات سواء، فقلبه ملك مريم ولن يملكه أخرى، فليخترَ له مَنْ يختار، كان مراد سعيدًا بأنَّ عُمر أصبح مطيعًا، هكذا يكون الابن البار، اختار مراد لابنه العروس، اختار سمر، وترك لزوجته فريال مهمّة جس النبض واستكشاف رأي سمر رغم أنه كان واثقًا بموافقتها لأنه واثق بحبها لابنه، حُب هو يعرف مداه، واثق بأنها ستقبل أن تكون زوجة ثانية وأن تبقى مريم في حياة عُمر، هو نفس الحُب الذي أجبر مريم على قبول الوضع ذاته.

لم تنتظر فريال بل تحدثت مع سمر سريعًا، فوجئت سمر بأن مريم لم تطلب الطلاق، هذا عكس توقعاتها، كانت تظن أن الشقراء ستخرج من حياة عُمر وحياتها، لكن لا بأس، بعد أن تُحقق سمر حُلُم عُمر في الأبوة، لن تجد الشقراء لنفسها مكانًا، ستغادر بلا رجعة، فقط عليها أن تتحمل قليلًا من الوقت، فقط عليها قليل من الصبر. وافقت سمر كما توقع مراد وكما توقعت فريال، كانت المشكلة التي يتوقعها مراد هي رفض مختار والد سمر، ذهب إليه وطلب منه زواج سمر من عُمر، وكما تَوَقَّع رَفُض مختار وأخبره أن سمر أصبحت ابنة مراد وليست ابنته، فلتفعل ما تشاء. أخبر مراد سمر بموقف والدها وطلب منها أن تذهب إليه وترجوه، لأن موافقته مهمّة لاكتمال الفرحة، نفّذت سمر نصيحة خالها بكل دقة وذهبت لزيارة والدها، كان الأب منفعلًا وسألها في لوم شديد:

- تسيبي ابن عمك اللي بيحبك وتتجوزي واحد متجوز عُمره ما فكر فيك، ليه تعملي في نفسك كذا؟

- باحبه يا بابا، أنا عمري ما حَبَّيت غير عُمر.
- هو عُمره ما حَبَّك ولا فكر فيك، وبعدما تخلفي هياخذ عياله ويرميك.
- لا يا بابا، عمر مش ممكن يعمل كدا.
- هتندمي يا بنتي.
- أرجوك يا بابا وافق، أرجوك.

استماتت في البكاء والرجاء إلى أن اضطر الأب للموافقة، ماذا يفعل مع ابنة عنيدة تتخبط في كل قراراتها وتهدم حياتها بنفسها؟ ماذا يفعل مع ابنة لا تقبل النصيحة؟ لا يملك لها إلا الدعاء. وتمنى لها أن تسعد في حياتها الجديدة.

استطاع مراد في أيام أن يرتب كل شيء وأبلغ ابنه بموعد الزواج. شَعر عُمر أن الأرض تتزلزل تحت قدميه، كيف سيُبلغ مريم؟ وماذا سيقول؟ عادت من عملها ووجدته قد سبقها إلى المنزل، كان مرتبَّگا، مكتئبًا، كأنه يحمل همًا ثَقِيلًا.

كانت تراقب حَيرته وتعرف ما يؤرقه وما يعجز عن أن يصارحها به، وكما اعتادت ستواجه الأمر مهما كان مؤلِّمًا، بدأت هي الحديث وسألته:

- هتتجوز امتي؟

اندَهِش من السَّوَال وارْتَبَكَ ولم يعرف ما الرد، خفض بصره إلى الأرض كأنه يهرب من المواجهة.

- عمي مراد جا لي العيادة النهار دا، وقال لي انك هتتجوز سمر.

- بابا بيعمل كل حاجة، يا ريته ينفع يتجوز مكاني.

- عمي راجل أعمال شاطر، بيعرف يخلص كل حاجة ويطلع كسبان، هو جه يبلغني، وقال لي كلام لطيف جدًا، إني بنته وائي وائي وائي، كلام كثير بس بصراحة لازم اقول له برافو. ما بيضيعش وقت، متهيا لي انا كدا سهلت عليك المهمة انت كمان، فاضل اقول مبروك.

ألقت بكلماتها وأسرعت إلى غرفة نومها، وجلس هو لا يعرف ماذا يفعل وماذا يقول، تملّكه الشعور بالألم وربما بالخجل، حقًا كيف سينظر في عينيها؟ بأي كلمات سيداوي جرحها وهو من جرحها؟ كيف يمسح دموعها وهو سبب تلك الدموع؟ إلى أين يمضي به القدر؟ لا يعلم ولا يصدق ما يحدث، لا يصدق مثلما لن تصدق هي أنه يتألم مثلها، لا يعلم الآن من منهما الجراح ومن المجروح، أم إنهما معًا ضحية القدر والظروف؟

دخل إليها في غرفة النوم، كانت تبكي بصوت عالٍ، أدارت وجهها بعيدًا وبدأت تمسح دموعها، جلس إلى جوارها وقال بحزن:

- ما فيش كلام اقلوه، غير اني ما استاهلش دموعك دي، أنا... في يوم من الأيام وعدتك اني عمري ما هاسمح لشيء يجرحك، والنهاردا انا جرحك وانا سبب دموعك، أنا... مش قادر اقول غصب عني، ولا حتى عارف لو قلت باحبك هيبقى لها معنى ولا لأ بس دي الحقيقة، أنا باحبك، وفي اللحظة دي أنا باحبك وكاره نفسيـ أرجوك يا مريم تسامحيني، لأنني لو خسرتك أبقى خسرت كل حاجة.

التفتت إليه في ضعف بالغ وقالت بصوتٍ باكِ:

- هتنساني يا عُمر؟ هتحبها؟

- قلبي ملكك مش ملكي، صدقيني.

- اوعدي انك هتفضل تحبني.

- باحبك وهافضل احبك لآخر يوم في عمري، أنا اللي عايزك توعديني انك هتفضلي تحبيني عشان اقدر اعيش، أنا من غيرك اموت.

ارقت في حضنه من جديد، تهرب منه إليه وتداوي جرحه لها بلمسة يديه، غريب أمر الحب، يجعلنا نقبل ما لا نتخيل أو نتصور، ننسى- الكبرياء ومنتناسي الكرامة، ونذوب في كيان آخر، تتلاشى كل الاعتبارات، وتسقط كل الحسابات كي نحظى بلقاء الحبيب، ونتحمل ألمًا لا يحتمل خوفًا من المغيب، فليس هناك أصعب من غياب الحبيب.

الفصل الحادي عشر

لم يمنح نادر الصاوي أي فرصة لياسمين كي تهرب من حبه، إنه يحبها ولن يقبل أن يتركها لمخاوفها من الفشل، منتهى الظلم أن تقارن بينه وبين زوجها السابق أو أن تسجن قلبها في تجربة سابقة وتغمض عينيها عن الحب الحقيقي الذي ينتظرها، نعم يحبها، ويراها أميرة أحلامه وبطلة رواية عمره، في عينيها عالم ساحر من الحب والرومانسية يتوارى خلف نظراتها الجادة الطموحة، وراء تلك الطيبة المجتهدة المنغمسة في عملها امرأة أخرى هو فقط مَنْ يراها، امرأة تملك بأنوثتها الطاغية كل مفاتيح العشق والهوى، إنها كل شيء ونقيضه، إنها المرأة العملية والرومانسية، الحادة والرقيقة، قوية الشخصية لكن خلف قوتها قلبًا يشاق إلى الحب ويعشق الحياة، لو ترى نفسها بعيونه فسُحِبْهُ كثيرًا وتحب نفسها أكثر وتمنح الفرصة لقلبها كي يعشق ويغرق في العشق. لن يسمح لها أن تهرب منه ولن يسمح لنفسه أن تضيع من بين يديه، لن يقابل هذا الحب مرة أخرى، الحب الحقيقي غالبًا نقابله مرة واحدة، إمّا أن نحياه ونحيا به وإمّا أن نتركه ونحيا في عداد الموتى.

أصبحت هي روايته الجديدة، يفكر فيها ليل نهار، ينشغل بها وجعلها تنشغل به، أي رسائل تلك التي تقرأها ياسمين؟ ما كل هذا العشق الذي يغمرها به؟ حروف كلماته تنطق بحب ما تخيلت إلا أنه في القصص والروايات. كلما هاتفها تسارعت دقات قلبها مما يقول وطار في سماء العشق، شعرت معه بمشاعر لم تذوقها من قبل، إنه الحب الذي ما مرّ عليها

سابقًا، اليوم هي تُحِب وتَعشَق، لم تَعُد قادرة على الإنكار، الحب نور لا يخفى، كيف تُخفي لهفتها عليه وفرحتها به؟ لا يمنحها أبدًا الوقت لكي تفكر في القبول أو الرفض، يحاصرها بِحُبِّه، ما بين مقابلات خاطفة أو مكالمات هاتفية طويلة، يخبرها بتفاصيل يومه وأحلام نومه، يحكي عن الماضي بإيجاز ويستفيض في الحديث عن الغد وما يحلم به، لا غد له إلا وهي معه، هكذا يخبرها أنها هي الغد الذي طال انتظاره، جريء في مشاعره، مصمم على اختياره، بارع في اختيار كلماته. غريب الحب، يأتي وقتما نظن أن فات وقته، وهل للعشق وقت؟ فما دامت القلوب تنبض، فهي ما زالت قادرة على أن تعشق، وحينما نعشق تختلف الحياة، وكأننا نولد من جديد في عالم جديد، حقًا ما أروع الحُب!

.....

إلى متى ينتظر أمجد؟ إلى متى يتردد في التعبير عن مشاعره؟ هل ينتظر إلى أن يسبقه آخر إليها؟

لقد عرف عنها كل ما يريد، وكل ما عَرَف يؤكد له أنه أحسن الاختيار. إذًا فعَلَيْهِ أَنْ يخبرها بما في قلبه، عليه أن يعرف ماذا يكون بالنسبة إليها؟ قلبه يُحَدِّثُهُ بأن المشاعر متبادلة، بريق عينيها له لا يكذب، هل هناك أصدق من لغة العيون؟ لغة خاصة تحكي ما لا تحكيه الحروف والكلمات، بين نظراته كلمة (أحبك) وبين نظراتها نفس الكلمة، إذًا فلماذا الانتظار؟

اتصل بها وحدد موعد ومكان اللقاء، جاءت إليه متأخرة نصف ساعة، كانت مرتبكة بشكل واضح، ارتباكًا زاد من ارتباكها ونزع طمأنينة قلبه،

جلست ومنذ البداية وهي تنظر إلى الساعة وكأن الوقت يطاردها بعضًا،
أراد أن يُخفف من توترها فقال مازحًا:

- مش عارف ليه حاسس انك قلقانة، إحنا لسنا سبعة مساءً، وفي مكان
عام، كدا ما فيش حاجة تقلق غيري.

- لا خالص يا دكتور، لو مش واثقة انك إنسان محترم جدًا ما كنتش
جيت.

- طب فيه إيه؟

- أنا مش متعودة اخرج غير مع صاحباتي البنات.

- بصراحة انا كان لازم اشوفك واقابلك، في كلام عايز اقله، ما ينفعش في
التليفون، كان لازم اشوفك.

- خير يا دكتور.

- إحنا اتعرفنا على بعض من فترة قليلة قوي، لكن انا ما اعرفش ازاى
فجأة لاقيتني باحبك، كتير سألت نفسي- جايز مش حب، جايز إعجاب، بس
عرفت اني بانكر إحساس ما ينفعش انكره، إحساس مش عارف حتى اوصفه
ليك دلوقتي، لكن انا ممكن اختصر- كل اللي حاسه بكلمة انا باحبك، واتمنى
تكوني مرااتي وأم أولادي.

صمتت، وتبدل بريق عينيها بدمعة حاولت أن تخفيها، وردت بسرعة
وهي تستعد للمغادرة:

- دكتور أمجد، إنت إنسان رائع فعلاً، وأي بنت تتمناك، لكن انا فعلاً ما
بافكرش في الجواز في الوقت الحالي.

جاءت إجابتها صادمة، لم يُفِق من صدمته إلا بعد أن غادرت، غادرت مسرعة، لم تمنحه أي فرصة للنقاش أو التفكير، أغلقت باب قلبها أمامه ورحلت، هل تَسْرِع في الاعتراف لها بمشاعره؟ هل كان عليه أن يتأني؟ رحلت وتركت مئة سؤال يدور به حول نفسه، يبدو أنه لا يُجيد قراءة لغة العيون كما كان يظن، كم أنك جاهل يا أمجد! كم أنك أحمق! هكذا وصف نفسه، وما الفائدة؟ ما حدث قد حدث.

عاد أمجد إلى بيته وبدخله تلال من الحيرة، كانت ياسمين تنتظره ويبدو عليها التوتر والحزن، كانت تنتظره لتخبره بأن عُمر سيتزوج، وأن عقد قرانه على سمر الأسبوع القادم، ظلت تتحدث وتتحدث، كانت لا تُصدق أن عُمر يخضع لضغط والده بهذه السرعة، كانت تظن أنه يحتاج إلى أعوام ليفعلها، خاب ظنها به، وخاب أملها فيه، كانت غاضبة، ثائرة، رافضة لأن ينظر عُمر إلى نفسه فقط بلا رحمة، بينما كان أمجد صامتًا حائرًا وكأن ليلته اكتمل ظلامها، لقد صُدم من ردّ نرمين ورَفُضِها له وهو لا يعرفها إلا منذ فترة وجيزة، فكيف ستكون صدمة مريم في حبيبها؟ كيف تتحمل هذه الصدمة وعُمر بالنسبة إليها ليس زوجًا وحبيباً فقط، بل أكثر من ذلك بكثير؟ عُمر لها العُمر بكل أيامه وأحلامه، يسكن في قلبها كُلّ مراحل عُمرها، حتى وهي طفلة لا تعرف معنى الحب. لا يُبالغ إن وَصَف عُمر بأنه لها الهواء الذي تنفسه، ولهذا يُدرك لماذا لم تطلب الطلاق.

أحياناً لا نختار، بل نصبح ريشة في مَهَبِّ القدر يفعل بنا ما يشاء. حقاً إنها ليلة صادمة وعلينا أن نتعلم كيف نواجه الصدمات.

في صباح اليوم التالي تواصل أمجد مع عُمر هاتفياً وطلب منه أن يقابله في أي مكان عام. تقابل الاثنان، كان عُمر يبدو مرتبگًا، متوترًا، بينما كان أمجد يريد فقط أن يطمئن على مريم، بدأ أمجد الحوار:

- عُمر، أنا مش جايبك عشان الومك. لكن لازم تسمعني.

- يا ريت انت يكون عندك استعداد تسمعني، يا ريت كمان تصدقني، تصدقني لو قلت لك اني أتعس واحد في الدنيا، يمكن كمان اكون أضعف واحد في الدنيا، أنا عارف انكم شايفيني أناني ما بافكرش غير في نفسي— أنا مش هاقدر انكر اني عايز اكون أب، بس لو اخد قرار عشان أرضي نفسي— واكون أب كنت محتاج سنين، لكن القرار السريع دا عشان أرضي بابا، أنا فكرت في حاجات كتير، فكرت حتى ابعد انا ومريم واسيب البلد بس ما قدرتش، أنا ابن وحيد يا أمجد، لما بابا تعب، ضعفت ووعدته اني هاعمل اللي عايزه لأني حسيت اني كان ممكن اكون سبب في موته.

يا أمجد انت فاهمني؟

- أنا قلت لك من الأول أنا مش هاقدر الومك، عارف ليه؟ لأن القرار دا كان هيحصل هيحصل، دلوقتي أو بعد سنين كان هيحصل، أنا اللي يهمني دلوقتي إنك تحافظ على مريم يا عُمر، عارف معنى انها تفضل مراتك وانت هتتجوز عليها، عارف الوجة اللي ممكن تكون حاسة بيه؟ دا وجع كبير قوي ما يتحملوش إلا اللي بيعب قوي، يا ريت تكون قَدْ الحب دا.

- إنت عارف يا أمجد هي بالنسبة لي إيه.

- مش بالكلام يا عُمر، الأيام الجاية هي اللي هتقول هي بالنسبة لك إيه، وبتحبها قَدْ إيه. وانا مش هاسمح لك يا عمر توجعها أكثر من كدا مهما كان اللي بيني وبينك.

انتهت المقابلة، انصرف أمجد وترك عُمر في حيرته، يبدو أن القادم حيرة لا تنتهي. ظلَّ جالسًا في مكانه يُحاوِر نفسه، رغم كل ما بيَّنه وبين مريم من حُب لا يُوصف، عرَّف الحزنُ الطريقَ إليهما، كأنَّ الحب وحده لا يكفي للسعادة، تحطمت كل قناعاته أمام الظروف، منذ أقل من عام لم يكن يرى مجرد التفكير في أخرى غير مريم إلا خيانة عظمى، واليوم سيتزوج بأخرى ولا يستطيع أن يحكم على نفسه هذا الحكم القاسي، هو ليس بخائن، إذًا فكيف يصف نفسه؟ ما الوصف الذي يمكن أن يصف به نفسه في هذه الظروف؟ إنه لم يَسعَ للخيانة، لم يقصد الخيانة، لم يُفِرْط في الحب الكبير، ولم يَنسَ لحظة لكن فُرِضت عليه الخيانة، يمكن أن يصف نفسه خائنًا بالإكراه، نَعَمْ هو مُجبر على أن يخونها، مُكْرَه على أن يجرحها، لكن مهما فعلت به الظروف فسيظل حبها هو الحياة، لن تنقص الأيام قطرة من نهر عشقه، فهو يجري مجرى الدم في العروق.

.....

جاءت الليلة الرهيبة، تلك الليلة التي ستتقاسم أخرى قلب حبيبها معها، يا لها من ليلة، هكذا كانت معتكفة في غرفتها، تُحدِّث نفسها، رفضت أن تذهب إلى فيلا حافظ، رفضت أن يأتي أحد إليها ليخفف عنها أوجاع الليلة، أرادت لقلبها أن يعتاد الوحدة، أن يعتاد الألم، إنها ليست ليلة واحدة ومضيـ بل ليلة ستتبعها ليالٍ وأيام وسنوات من الألم، عليها أن تتعلم مواجهة آلامها وحدها، أغلقت هاتفها، وأمرت خادمتها ألا تقترب من غرفتها، فهي لا تريد أن ترى أحدًا، ولا تريد أن يرى أحد دموعها، فَلْتَجْرِ الدموع كما تشاء، وماذا تملك إلا البكاء؟ مضت أيام السعادة وجاءت أيام

الشقاء. حَقًّا الحب وحده لا يكفي، ها هو الحب يُقهر، ويسقط أمام
عنفوان الظروف، ما تخيلت أن تعيش تلك اللحظة، كيف سَيُمضي— ليلته؟
كيف يلمس أخرى؟ كيف سيحضنها؟ كيف وكيف وكيف؟ كل هذا من أجل
طفل؟! تُرى ماذا لو كان الوضع مقلوبًا؟ لو كان هو من لا يقدر على
الإنجاب؟ هل كانت ستقدر أن تكون مَلِكٌ غيره؟ هل كانت تستطيع أن
تطوي كل ما بينهما وترحل للبحث عن طفل؟ طفل ولو من رجل لا تحبه
أو حتى لا تطيق رؤيته؟ المهم أن يأتي الطفل ولو على جثمان عشق عُمر
بأكمله؟ أي منطق هذا؟

لو كان عُمر هو من لا ينجب، أفلم يكن مراد يركع أمامها حتى لا تتخلى
عن ابنه؟ ربما كان سيَهَبُ لها ثروته كلها كي تبقى إلى جوار ابنه، ربما، ولكن
الحقيقة الآن أنها هي مَنْ لا تنجب، هي مَنْ تحب وتخلص وتسفك دماء
كبريائها ليسعد، هل سيسعد؟ هل سيسعد مع أخرى؟ كيف ذلك وهو لا
يحبها؟ وهل الحب هو السعادة؟ الحب ليس كافيًا، الحب ليس هو
السعادة، ربما تكون السعادة في الأبناء، ولكن هناك مَنْ لديهم الأبناء ولا
يملكون السعادة، إذًا فأين السعادة؟ أين الراحة؟ تساءلت: أين الراحة؟ هل
هناك راحة في هذا العالم؟ أبدًا، الراحة والسلام في العالم الآخر، حيث يكون
حافظ، لا أُم، لا خوف، لا ندم، لا ضعف، هناك الراحة الأبدية، الأفكار
تتواصل في عقلها، تزدهم وتمد طريقًا إلى اليأس، لا أمل في شيء لأنه لم يبقَ
لها شيء، الصورة أمامها قائمة، تكاد تُجَنُّ، ربما تصاب بالجنون حقًا، لا بد أن
يتوقف كل هذا الضجيج في رأسها، ولكن كيف؟ كيف تصمت كل هذه
الأفكار؟ الأمر أكبر من احتمالها، أكبر من طاقتها، عليها أن تهرب، ربما النوم
يمنحها ساعات من الهدوء، فلتأخذ أقرصًا مهدئة، قرص واحد يكفي، أخذت
قرصًا مهدئًا واستسلمت للنوم. لعله السبيل إلى الهروب المؤقت من كل تلك
الأوجاع التي تطاردها.

الفصل الثاني عشر

مضت الليلة وانتصف نهار اليوم التالي وما زالت غرفة مريم مغلقة عليها، كان عُمر يحاول الاتصال بها ليلاً ومنذ بداية اليوم التالي خلسة من زوجته الجديدة، ولكن الهاتف دائماً مغلق، لا بد أنها لا تُطيق أن تسمع صوته، هكذا فكر وتوقع، ولكن كيف يطمئن عليها؟ لا يملك الجراًة على التواصل مع ياسمين أو أمجد، لن يختلف موقفهما كثيراً عن مريم، وربما لن يرد عليه أحد منهما، لا يوجد غيره، هو فقط من يقوم بالمهمة، تواصل مع الدكتور عبد الرحيم وطلب منه أن يزورها ويطمئن عليها، كان الدكتور عبد الرحيم بالفعل في الطريق إليها، إنه أيضاً يريد أن يطمئن عليها، حيث علم من أمجد أنها معتزلة الجميع وحدها منذ أمس، كانت أسرة مريم ترى أن الدكتور عبد الرحيم يُذكرها بوالدها، وهو أقدر منهم جميعاً على مساندتها في هذه الأزمة العاصفة التي مَرُّ بها، وصل الدكتور عبد الرحيم إلى فيلا مريم، أخبرته الخادمة أنها لم تغادر غرفتها منذ أمس، وأنها منعت اقتراب أي أحد من الغرفة، أمرها أن تخبرها أنه ينتظرها، دقائق وعادت الخادمة وأخبرته أنها طرقت باب الغرفة كثيراً ولا أحد يجيب، ففتحت الباب ولم تجد السيدة بالداخل، تاركة هاتفها، لا تعلم متى خرجت، كانت الخادمة مندهشة، متى خرجت سيدتها؟ وكيف لم تَرها؟

اتصل الدكتور عبد الرحيم بأمجد وسأله إن كانت جاءت إليهم أم ماذا، بدأ التوتر يسيطر على الجميع، بدأت ياسمين تفكر في التواصل مع مَنْ يمكن

أن تفكر مريم في الذهاب إليهم رغم يقينها أنها ليست في حالة تسمح لها بزيارة أحد، بينما كان أمجد أكثر تشاؤمًا وفكر أن يبحث عنها في المستشفيات، أما الدكتور عبد الرحيم بدأ يتجول بسيارته في شوارع قريبة من الفيلا لعلها تكون قريبة من المنطقة، عاود عمر الاتصال بالدكتور عبد الرحيم للاطمئنان، فردَّ الدكتور عبد الرحيم فورًا، والقلق واضح في صوته:

- مريم مش في البيت ولا عند مامتها وبصرّاحة احنا مش عارفين هي ممكن تكون فين وموبايلها في البيت، لو في مكان انت عارف انها ممكن تروحه ومش في بالنّا قل لي، وانا هاروح لها فورًا واطمنك.

- عمي استنّاني قدام فيلا مريم وانا جاي لك.

- تيجي فين يا ابني؟ ما ينفعش، ومراتك؟

- إيه الي ما ينفعش؟ هي مريم مش مراتي؟! أنا دقايق هاكون عندك، استنّاني.

فَعَلًا في وقت وجيز كان عُمر أمام الفيلا، جلس الدكتور بجواره في سيارته وسأله:

- إنت عارف هي فين؟

- غالبًا مدفن عمي حافظ.

- فَعَلًا؟ أنا ازاي ما جاش في بالي الموضوع دا؟ بس انت نزلت ازاي؟ هي سمر عارفة انك بتدور على مريم؟

- آه، سمعت وانا باكلمك.

- دا انت جبار، أو جايز هي طيبة قوي.

- صدقني لو قلت لك انا مش عارف ولا فاكّر هي كان إيه رد فعلها، أنا الدنيا لفت بيّ ما بقيتش حاسس بأي حاجة غير ان مريم بتضيق وانا السبب، عارف يا عمي، أنا مش عارف وصلت ازاي بالسرعة دي.

- إنت فعلاً جيت بسرعة غريبة، بس انت كدا يا بطل داخل على محاكمة عسكرية.

- محاكمة واحدة بس؟! على العموم مش دا اللي شايل همه، أنا شايل هم مريم، أنا... خايف اقبالها ومش عارف هاقول إيه، تخيل وصلنا لإيه.

- بالعكس، مريم بتحبك قوي، ما تخافش من اللي بيحبك.

- ما تخافش غير من وجع اللى بيحبك لما يكون انت اللي جارحه، أطمّن بس انها بخير وبعد كدا كله يهون. أنا مش عارف لو ما لقيتهاش دلوقتي ممكن يجرى لي إيه.

- إن شاء الله نلاقها.

وصلا معاً إلى المدفن، هرول عُمر إلى الداخل وتبعه العم، كانت هناك تبكي بانهيّار، تشكو إلى والدها كأنه يقف أمامها يحاورها، أسرع إليها وحضنها بقوة، عشق قيّدته الظروف وتاهت منه الحروف، فأصبح لا يعرف كيف يُعبّر عن نفسه، تاهت كل كلماته في بحر دموعها، لم يَكُن يردّد إلا (أنا آسف) وهي مستسلمة بين يديه تضع رأسها على كتفه كأنها غريق رأى أخيراً شاطئ النجاة، مرّت دقائق صامتة، كان صوت ألمها يعلو فوق أي كلام، فوق أي اعتذار، قطع عُمر الصمت بصوت هامس وهو يقول:

- كفاية حبييتي، يلاً نرجع البيت.

فكأنها أفاقت من دفء حضنه على صقيع الواقع، أين هي الآن؟ في
حُضن عُمر؟ ألم تَكُنْ أخرى في حضنه بالأمس يقول لها حبيبتي أيضًا؟ هل
هذا عُمر؟ أهو حبيبها أم إنها في حُضن رجل آخر؟ مَنْ هذا؟ نفس الصوت
ونفس الملامح ولكن ليس هو مَنْ أَحَبَّها وأحبتَه، انتفضت مسرعة بعيدًا عنه
وقالت باكية:

- إنت إيه اللي جابك؟ اتفضل روح لمراتك.

- مريم مش نتكلم هُنا، تعالي نروح وانا هاسمك.

- أنا مش عايزة اشوفك دلوقتي يا عُمر، لو سمحت، سِبنِي.

- مريم، الشمس بتغيب، لازم تروحي حبيبتي.

تَدخُل العم فورًا وقال:

- تعالي معاي يا مريم، أنا يا حبيبتي هاوصلك مكان ما انتِ عايزة.

- أوكي يا عَمُو، أنا مش قادرة اسوق، اتفضل مفاتيح العربية.

- يَلَا يا بنتي.

خرجت مع الدكتور عبد الرحيم، وهمس له العَم أن يطمئن عليها وأنه
معها ولن يتركها أبدًا، وطلب منه أن يتواصل مع أمجد ويُخبره أنها بخير،
ووقف عُمر دقائق صامتًا ثم عاد إلى سيارته، طَمَأَن أمجد هاتفياً وتبعهما
طوال الطريق ليطمئن عليها. كانت تعلم أنه يتبعها بسيارته، ترى سيارته في
المرآة، حاول الدكتور عبد الرحيم أن يخفف عنها، لكنها كانت في عالمها
الخاص، في حوار لا يهدأ، تتمزق بين حبها له وغضبها منه، كلما اشتد الصراع
انهمرت الدموع، حَقًّا الأمر أكبر من احتمالها، كَفَّ العم عن الكلام وتركها
تتحدث بدموعها، دمعت عيناه تألُّمًا عليها، وتأثَّرًا بها، هناك جروح لا يصفها

الكلام لأنها أعمق بكثير من كل الكلمات، فلو تجمعت كل الكلمات بكل اللغات فلن تصف حقيقة ما بداخلها من ألم.

وصل الدكتور عبد الرحيم إلى الفيلا (فيلا عُمر ومريم).

تَوَقَّف عُمر بسيارته خلفهما على مسافة قليلة، تَوَقَّف وهو لا يعلم ماذا يفعل، أيتبعهما ويحاول أن يسترضيها أم إن الوقت غير مناسب، ما أغرب هذا الموقف! متردد في الدخول إلى بيته، أهذه هي جنته التي اختار كل شيء فيها بدقة كي يكون أجمل عش زوجية؟ أهذه هي دنياء التي يعشقها؟ ما زال يراقبهما وفي عقله يدور ألف حوار لن يهدأ، لكن ما الذي حدث؟ لم ينزلا من السيارة، هَلْ غَيَّرَتْ رأيها وستذهب إلى فيلا والدها؟ هل هذا معقول؟ فيم تفكر؟ لا يمكن أن تتخلي عن وعدها، ألم تَعِدْهُ أن تبقى له حتى لو أصبح ملك غيرها؟ كيف تُخلف الوعد؟ ولماذا يلومها؟ ألم يَعِدْهَا بالسعادة والحب طول العمر وأخلف الوعد؟ ما زال يراقب، بالفعل تحركت السيارة، تحرك خلفهما وهو يتصل بالدكتور عبد الرحيم، لم يسأله عن شيء بل صرخ في انفعال:

- وقف العربية، أنا لازم اكلمها، لازم تسمعني، أرجوك يا عمي.

- يا عمر، أنا اتفاجئت انها مغمي عليها، حاولت افوقها ما فيش فائدة، أنا رايح المستشفى.

ألقى الهاتف إلى جواره، وقلبه ينتفض قلقًا عليها، وسؤال يطيح بعقله: ماذا فعلتُ بها؟ صوت القلق والخوف عليها أعلى من صوت السيارات وضوضاء الشارع المتكدس، ما الذي يحدث؟ ماذا فعل بالملك الرقيق؟ إنها أَرْقُ من أن تَحتمل تلك العاصفة، وهو أضعف من أن يتحمل خوفه عليها، لقد استسلم لأنانيته وقَهَر قلبه وقلبها، وأصبحت معها في دوامة من الوجع.

حُجِزَت مريم في المستشفى، وَمَضَتْ لَيْلَةً عَصِيْبَةً، جَلَسَ عُمَرُ وَإِلَى جَوَارِهِ أَسْرَةً مَرِيْمٌ فِي انْتِظَارِ اسْتِقْرَارِ حَالَتِهَا وَالسَّمَاْحِ لَهُمْ بِزِيَارَتِهَا، الْجَمِيعُ يَفْتَرِسُهُ بِنِظَرَاتٍ لَوْمٍ لِأَذْعَةٍ، جَلَسَ بَيْنَهُمْ مَتَهَمًا، نِظَرَاتُهُمْ تُعَلِّقُ لَهُ الْمَشَانِقَ، أَهْ لَوْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ يَحَاكِمُ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ، وَلَكِنْ وَقَعَتِ الْجَرِيْمَةُ وَانْتَهَى الْأَمْرُ، تَرَكَهُمْ وَذَهَبَ إِلَى الدَّكْتُورِ عَبْدِ الرَّحِيْمِ لِيَطْمَئِنُّ مِنْهُ عَلَيْهَا، أَهِيَ حَقًّا سَتَكُونُ بِخَيْرٍ؟ هَذَا أَكْثَرَ مَا يَعْنِيهِ. يَا أَلَلْهُ، مَتَى تَنْتَهِي سَاعَاتُ الْقَلْقِ؟

مَضَى الْوَقْتُ ثَقِيْلًا بَطِيْئًا إِلَى أَنْ جَاءَتِ اللَّحْظَةُ الَّتِي يَنْتَظَرُهَا الْجَمِيعُ، لَقَدْ اسْتَقَرَّتْ حَالَتُهَا وَسَمَحَ لَهُمُ الدَّكْتُورُ عَبْدِ الرَّحِيْمِ بِالزِّيَارَةِ وَالْإِطْمَئْنَانِ عَلَيْهَا، وَدَخَلَ الْجَمِيعُ يَطْمَئِنُّ، وَقَفَ عُمَرُ وَحِيْدًا فِي الْخَارِجِ، لَمْ يَدْخُلْ، بَلْ جَلَسَ يَتَسَاءَلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ أَتُحِبُّ رُؤْيَتَهُ أَمْ لَا.

التَّفُّ الْجَمِيعُ حَوْلَهَا وَتَعَالَتْ ضَحْكَاتُهُمْ فَرِحَةٌ بِأَنَّهَا بِخَيْرٍ، بَيْنَمَا كَانَتْ عَيْنَاهَا تَطُوفَانِ بِكُلِّ أَرْكَانِ الْغُرْفَةِ تَبْحَثَانِ عَنْهُ، الْجَمِيعُ حَوْلَهَا إِلَّا هُوَ، إِذًّا إِنَّهَا وَحِيْدَةٌ رَغْمَ كُلِّ مَنْ حَوْلَهَا، هَذَا هُوَ قَدَرُهَا، لَقَدْ أَصْبَحَ لَهُ حَيَاةٌ أُخْرَى وَزَوْجَةٌ أُخْرَى، مَا كَانَ يَجِبُ أَنْ يَتْرَكَهَا فِي أَيَّامِ الْعَرَسِ الْأَوَّلَى، الْجَمِيعُ يَتَكَلَّمُ وَهِيَ تَبْتَسِمُ ابْتِسَامَةً بَاهِتَةً، كَانَ الدَّكْتُورُ عَبْدِ الرَّحِيْمِ يَرَاقِبُهَا وَيَعْلَمُ عَمَّنْ تَبْحَثُ، أَشَارَ إِلَيْهِمْ بِالْخُرُوجِ لِعَدَمِ إِرْهَاقِ مَرِيضَتِهِ، خَرَجَ الْجَمِيعُ وَجَلَسَ الدَّكْتُورُ الْمَعَالِجُ إِلَى جَوَارِهَا يَتَسَاءَلُ:

- بِنْتِي عَامِلَةٌ إِيَّاهُ؟

- الْحَمْدُ لِلَّهِ يَا عَمُّو، أَنَا عَايِزَةٌ أَخْرَجُ.

- لَا لَا، حَضْرَتُكَ هَتَشَرَفِيْنِي كَامَ يَوْمٍ، أَنَا مَشْ نَاقِصٌ فِيلِمُ أَكْشَنُ جَدِيدٌ مِنْ أَفْلَامِكَ.

- أنا تعبتك قوي يا عمو، ربنا يخليك ليّ.
- فيه واحد عايز يظمن عليك.
- مين؟
- اللي كنت بتدوري عليه، هو انتِ فاكدة اني كبرت؟ على فكرة انا شباب أكثر منكم.
- زمانه عند مراته يا عمي.
- حرام عليك، دا سايب الدنيا كلها وقاعد برّا هيموت م القلق عليك.
- بجد؟ ما دخلش ليه؟
- لو موافقة ادخله، لو مش عايزة انا هاطرده على طول.
- حرام يا عمو.
- حرام يا عمو، يعني اطلع انا منها؟
- دخل عمر إليها في خُطى متباطئة بينما عيناه تنطقان بلهفة أنسَتها كل
آلامها، ابتسمت وكأن سعادة العالم بين يديه، بين يديه وحده، ابتسمت
فمنحته صَأك الغفران، فأسرع إليها، قَبَّلَهَا بشوق لا يحتاج إلى كلماته لتصفه،
وقال:
- أنا كنت هاموت من الخوف عليك.
- أنا بقيت كويسة، الحمد لله، بس عمي مصمم اني افضل في المستشفى.
- إيه المشكلة حبيبتي؟ فيها إيه؟ كام يوم ويعدّوا.

- لا، أنا عايزة البيت، كفاية اني تاعباكم كلكم.

- ما فيش تعب، كلهم يروحوا، وانا هافضل جنبك.

- لا، ما ينفعش.

- ما ينفعش غير اني اكون جنبك.

(أنا مَنْ سيبقى معها) هكذا أبلغهم عُمر، انصَرَفوا جميعًا وهم يرون
فرحة مريم بأنَّ عُمر معها وكأنها ما جُرحت بيديه وما حزنت منه.

.....

تواصل الدكتور عبد الرحيم مع صديقه مراد، وأخبره بما حدث لمريم،
وذهب مراد إلى عروس ابنه يعتذر إليها عن هذا الظرف الطارئ الذي ما
كان في الحسبان، أخفت العروس ضيقها مما حدث، أخفت النار المشتعلة في
قلبها مِنْ حبيبٍ هجرها بَعْدَ ليلة الزفاف، إنها تعلم جيدًا أن عُمر لم يقصد
إهمالها، لم يقصد جَرَحها، هو أَرَقُّ مِنْ أن يجرح، الشقراء هي سبب كل
العناء، لقد بدأت الزوجة الأولى المعركة منذ الليلة الأولى لزواجها، مريم هي
اللعة التي تطاردها طول العمر لتفسد عليها حياتها، تماكت أعصابها،
وكتمت ضيقها واشتكت إلى خالها شيئًا واحدًا، أن زوجها لم يتواصل معها
ولو هاتفيًا، إنها لا تريد أن يطمئن عليها، بل تريد أن تطمئنْ عليه، استمع
مراد إلى شكواها باهتمام بالغ ورآها مُحقة تمامًا فيما تقول، ثم اصطحب
مراد زوجته وتوجه إلى المستشفى حيث ترقد مريم للاطمئنان عليها، وبعد
مغادرة غرفتها انفرد الولدان بابنهما دقائق، كان على والده أن يُدَكِّرْهُ أن له
زوجة أخرى لها حقوق، زوجة تركها بعد ليلة واحدة، وإذا كان وجوده هُنا
إلى جوار مريم واجبًا وحقًا أصيلًا لها، فعَلَيْهِ أيضًا ألا ينسى أن سمر زوجته

ولها نفس الحقوق. تواصل عُمر مع زوجته الثانية هاتفياً واعتذر إليها، تقبلت اعتذاره بهدوء عجيب، أخبرته أنها ستنتظره ولو تأخر أعواماً. أعجبه الهدوء، أعجبه تعاملها مع ظروفه بقبول ورَّضاً، تفاعل بعض الشيء، تفاؤلاً مُحاطاً بكثير من الحذر.

اطمأنَّ الدكتور على المريضة وسمح لها بالمغادرة، عادت إلى الفيلا وهو معها يُحيطها بِحُبٍّ بالغ، كانت تظن أنه رحل يوم عقد قرانه على أخرى، أيام من الحب والاهتمام والسهرة إلى جوارها تارِكاً كل شيء، أيام كانت كفيلة أن تُفيقها من الصدمة وتعيد إليها توازنها، الآن أصبحت أكثر هدوءاً، أكثر رزانة، عادت إليها مريم التي قررت ألا تسمح للظروف أن تأخذ منها حبيب العمر، نَعَمْ قررت ألا تترك عُمر يضيع منها، إنه الحياة. وما زالت تتمسك بالحياة.

الفصل الثالث عشر

لم تنتهِ مفاجآت مراد بعد، لقد أعدَّ مفاجأة ضخمة لابنه، جولة أروبية مُدَّة شهر مع زوجته سمر، لن يستطيع مراد أن يقف مكتوف اليدين، يعلم جيدًا أن عمر يعشق مريم وربما هذا العشق الكبير يكون سبب فشل الزيجة الثانية، وهو أمر لن يسمح به أبدًا، سيتدخل في حياته بقوة ليعدل المسار كلما جعلته مشاعره ينحرف عن الصواب حتى لو رغبًا عنه، لا بد أن يحمي ابنه من نفسه، مِنْ حُبِّه المجنون وشبابه الطائش، وحتى لو أن الابن يختنق من هذا التدخل فلن يكف أبدًا عن دوره، يَوْمًا ما سيعرف عُمر قيمة ما يفعله مِنْ أجله، ربما يأتي هذا اليوم بعد سنوات، ربما يدرك كيف يحبه بعدما يرحل عن عالمه، يومها سيُحِبُّه كثيرًا ويدعو له كثيرًا بالرحمة.

أخيرًا جاءت الفرصة يا سمر، هكذا كانت تُحدِّث نفسها، ستنفرد به بعيدًا عن تلك الشقراء وعن مكائدها، أخيرًا جاءت لها الفرصة لتُعَبِّرَ له عن حُبِّ أخفته سنوات، إنها فرصة العُمر التي لن تُفُت منها أبدًا، ستفعل كل الممكن وغير الممكن لتكون له الحبيبة قبل الزوجة. الحُب الذي يملأ قلبها له سَيَعْبُرُ إلى قلبه ليعرف أن ما عاشه قبلها لم يكن حُبًّا، الحُب الحقيقي بين يديها، وحينما تُصبح أم أبنائه سيعرف أن الأسرة والأبناء هم الحب الذي يجعل لحياتنا هدفًا ولأيامنا مَعْنَى، يَوْمًا ما سيندم على أنه لم يلتفت إليها، سيعرف أنه في كل ما سبق من عمره كان يلهث خلف السراب، أما معها ستصبح السعادة حقيقة والحلم واقعًا.

طار عُمر مع زوجته سمر بعيدًا تاركًا خلفه قلبًا لا يعرف كيف سيتحمل ثلاثين يومًا من الغياب، ثلاثين يومًا لن ترى مريم حبيبها، لأول مرة سَيَمُرُ عليها شهر دون أن تراه، حتى قبل الزواج كانت تراه يوميًا، ولم يكن في حاجة إلى اختلاق الأسباب ليراه، فالجميع كان يعلم أنها حبيبته وستكون زوجته، وهي روحه التي تسكن في فيلا حافظ إلى أن تُتِمَّ دراستها، لم يُوصِه حافظ على ابنته يوم الزواج، فلا يحتاج الدكتور حافظ إلى الكلام المعتاد المرسل الذي يقال في مثل هذه الأحوال، ما بين عمر ومريم لا يشبه كل قصص الحُب أو الزواج، إنهما ثنائيٌّ خاصٌّ جدًّا، كان الجميع يراهما حكاية من حكايات العشق النادر في زمن بلا مشاعر.

وهكذا أصبحت الحكاية حكاية عشق وحكاية ألم، سافر عُمر بعيدًا وبقيت مريم في القاهرة، قلبها وعقلها في قارة أخرى، لا بد أن تعتاد البعد والغياب، هذا هو التحدي الذي قررت أن تواجهه ولقد بدأت المواجهة، لكن الأمر فوق الاحتمال، الغيرة وحش كاسر لا يرحم، إذًا عليها أن تُروِّض هذا الوحش في أعماقها وتتعلم كيف تتعايش معه، لكن الغيرة نار تحرقها، إذًا عليها أن تطفئ النيران بالصبر.

لكن كيف تصبر؟ كيف تنسى أنه يقضي الشهر في أحضان امرأة أخرى تريد أن تتسلل إلى قلبه، إلى كل ذرة في كيانه، إلى كل أيامه، تريد أن تطيح بها بعيدًا؟ إنها تعلم أن سمر تُحب عُمر منذ سنوات وجاءتها الفرصة لتحقيق حلمها القديم الذي ما عاد حلمًا، لقد أصبحت زوجته، لها نفس الحقوق، سمر لن تكتفي بنصف قلب أبدًا، مريم تثق أنها ستحاول بكل قوة أن تملك كل قلبه وكل حياته، فسألت نفسها هل تستسلم لها وتترك لها

عُمر، بل عليها أن تدافع عن زوجها، عن حُبِّها، عن رجل تستحيل حياتها
دونه لأنه بالنسبة إليها هو الحياة.

ظَلَّتْ مريم في بيت الزوجية، رفضت اقتراح والدتها أن تقضي هذا الشهر
معهم، لا تريد أن تترك بيتها، ستظل هنا، حَقًّا عُمر ليس معها، لكن تبقى
الذكريات في كل ركن شاهد على أيامهما الجميلة وحُبِّهما الكبير، ستقضي-
وقتها بين العمل والنادي وقضاء بعض الوقت مع أسرتهما. حَقًّا إنها أيام
صعبة لكنها سَتَمُرُّ وسيعود إليها عُمر يحو آلام الفراق.

لم تستطع المسافات أن تُبعد مريم عن قلب وعقل عمر، كان يحادثها
هاتفياً كل يوم، لا يتوقف عن ملاحقتها برسائل صوتية ونصية، إنه يفتقدها
ربما أكثر مما تفتقده، يفقد الإحساس بالزمان والمكان، لا يشعر بجمال ما
يرى رغم أنه كان يراها أماكن جميلة من قبل، أدرك أنها هي مَنْ تضيفي
الجمال على أي مكان تَمُرُّ فيه، الجمال بل كل الجمال في عينيها، معها فقط
يبدو كل شيء جميلاً، كان يتمنى لو يغمض عينيه ويفتحهما يجد نفسه عاد
إلى القاهرة، ولكن الأيام تمضي- بطيئة، كأنَّ عقارب الساعة توقفت، أيتها
الأيام فلتمضِ سريعاً. رَفَقًا بالمشاق.

.....

كل يوم يمر تتأكد ياسمين من حبها لنادر وحبها لها، استطاع في وقت
قصير أن يملك قلبها، أن يأخذها إلى عالم آخر من السعادة، لقد دخلت عالماً
جديداً لم تدخله من قبل، إنه عالم الحب، وما أروعها من عالم!

أَحَبَّهَا بِكُلِّ مَشَاعِرِهِ وَلَمْ يَعُدْ يُطِيقُ أَنْ تَحْيَا بَعِيدًا عَنْهُ، وَمَاذَا يَنْتَظِرَانِ؟
الْعُمْرُ يَمْزُ سَرِيعًا، طَلَبَ مِنْهَا أَنْ يَقَابِلَ أَسْرَتَهَا وَيَتَعَرَّفَ إِلَيْهِمْ وَيَتِمَّ الزَّوْاجَ
سَرِيعًا، بَيْنَمَا يَأْسَمِينُ كَانَتْ مَتَرَدِّدَةً، نَعَمْ هِيَ وَاثِقَةٌ بِمَشَاعِرِهَا وَمَشَاعِرِهِ، لَكِنْ
الْوَقْتُ غَيْرُ مَنَاسِبٍ، مَا تَعَانِيهِ مَرِيْمُ الْآنَ يَمْنَعُهَا أَنْ تَأْخُذَ تِلْكَ الْخَطْوَةَ.
طَلَبَتْ مِنْهُ الْإِنْتِظَارَ إِلَى أَنْ تَهْدَأَ الْعَاصِفَةُ، لَكِنْ مَرِيْمُ لَمْ تَنْسَ حَدِيثَ أُخْتِهَا
عَنْ هَذَا الصَّحْفِيِّ، لَمْ تَنْسَ لَمْعَةَ عَيْنِهَا وَهِيَ تَحْكِي عَنْهُ، لَمْ تَنْسَ فَرَحَ صَوْتِهَا
وَهِيَ تَصِفُ أَيَّ شَيْءٍ يَخُصُّهُ.

فِي إِحْدَى زِيَارَاتِهَا إِلَى أَسْرَتِهَا، انْفَرَدَتْ بِأُخْتِهَا وَسَأَلَتْهَا:

- مَا قَلْبُ لَيْشَ إِلَيْهِ أَخْبَارُ نَادِرٍ؟

- عَادِي يَعْنِي.

- عَادِي إِلَيْهِ، هُوَ طَلَعَ بَتَاعَ أَفْلَامٍ وَلَا إِلَيْهِ؟

- بِالْعَكْسِ يَا مَرِيْمُ، هُوَ بِيحْبِنِي قَوِي، إِنْسَانٌ مُحْتَرَمٌ قَوِي وَ...

- خُلَاصٌ يَا بَنْتِي، نَاوِي عَلَى إِلَيْهِ؟ لِمَا هُوَ مُحْتَرَمٌ قَوِي مَا جَاشَ يَخْطُبُكَ
لِيهِ؟

- بِصِرَاحَةٍ هُوَ عَايِزٌ يَبْجِي لَكِنْ أَنَا رَفَضْتُ.

- لِيهِ يَا يَأْسَمِينُ؟ إِنَّتِ مَتَرَدِّدَةٌ؟

- لَا مَشْ كَدَا، بَسْ أَنَا شَايِفَةُ الْوَقْتِ مَشْ مَنَاسِبٍ.

- إِلَيْهِ الْيَ مَشْ مَنَاسِبٌ؟

- مَا يَنْفَعُشْ أَتَجُوزُ وَأَنْتِ حَيَاتُكَ مَتَلْخَطِبَةُ كَدَا، مَشْ هَافَرِحٌ غَيْرُ لِمَا
أَطْمَنَ عَلَيْكَ.

- ياسمين حبيبتي، أنا كويسة، ما لكيش دعوة بمشاكلي لأنها مش هتخلص، بالعكس جايز تتعقد أكثر، خيلنا نفرح، أنا بجد محتاجة افرح.

- ليه بتقولي كذا؟ إزاي تتعقد أكثر؟

- صدقيني مش عارفة، بس عُمر بقى ليه حياة ثانية، جايز ينساني، جايز لأ، كل شيء جايز.

- مش ممكن ينساك يا مريم.

- ليه مش ممكن؟ كان فيه حد يتخيل ان عمر يتجوز غيري، أو اني اقبل بالوضع دا؟ فيه حاجات كتير بتحصل كنا فاكرينها مستحيلة، ما بقيتش اراهن على حاجة، حتى نفسي— أنا نفسي— مش عارفة بكرة هيكون حكمي إزاي على كل حاجة. المهم خليه يبجي يقابل أمجد وماما، وعمي عبد الرحيم يكون موجود، ربنا يكتب لك كل السعادة يا ياسمين.

استطاعت مريم ببساطة أن تفتح طريق الحياة والسعادة أمام ياسمين، نفّذت ياسمين نصيحة أختها، وجاء نادر الصاوي لخطبتها، سار كل شيء ببساطة وتم الاتفاق على خطوبة قصيرة وأن يتم الزواج بعد ثلاثة أشهر. وهكذا طرقت السعادة حياة الأسرة من جديد.

.....

ما زال سامح يفتقد ياسمين، ما زال يحلم بأن تسامح وتغفر، رغم أنه يعرف جيدًا أنها لا تسامح بسهولة لكنه ما زال يحلم، لا بد أن يحاول مرّات ومرّات دون يأس، ربما تُصدّق ندمه، ربما تتعلم كيف تغفر، ربما تطوي

صفحة الماضي وتكتب معه المستقبل، قرّر أن يحاول من جديد، ولماذا لا يتواصل مع أخيها؟ ربما يقنعها، سيحاول بكل السبل أن يعيد ما بينهما من جديد. عليه أن يتواصل سريعًا مع أمجد، ربما يصدقه ويساعده ويفتح له باب الرجوع إلى حياتها.

تواصل معه هاتفياً وظلّ يحكي له عن حُبّه لياسمين، عن ندمه، عن شوقه، عن خروج سوسن من حياته للأبد، ظلّ يتكلم ويتكلم بينما يستمع أمجد في صمت، أفاض في الحديث بينما أمعن أمجد في الإنصات إلى أن قال سامح كل ما عنده، فردّ عليه أمجد:

- ياسمين خلاص اتخطبت وهتتجوز قريب يا سامح، صحيح حياتكم الزوجية مع بعض انتهت، لكن هيفضل ليك عندنا كلنا احترام وتقدير لأنك أبو جنى، وربنا يوفقك انت كمان في حياة جديدة مع إنسانة جديدة بيك.

انتهت المكالمة بمفاجأة صادمة لم يتوقعها سامح، لم يفكر أبدًا أن ياسمين ستفكر في الارتباط مرة أخرى، حقًا لم يخطر على باله هذا الأمر مطلقًا، كيف هذا؟ كيف تتزوج؟ هنا انتبه وسأل نفسه: لماذا لا تتزوج؟ ماذا ينقص ياسمين؟ إنها امرأة يتمناها أي رجل، الأخلاق والجمال والعلم، كل هذا كان له، كان بين يديه، تركه لأسباب تافهة بمنتهى الحماسة، كان يتشكك في قبولها العودة إليه، لكنه لم يشك لحظة أنها ستفكر في غيره، دائمًا يغونه عقله، يُخطئ بسرعة البرق ويفعل الصواب بعد فوات الأوان. لن يكون له مكان في حياتها أبدًا. لقد انتهت قصة ياسمين وعليه أن يتعلم مما سبق ليعرف كيف يعيش غدًا.

.....

ما زالت صورة نرمن تلاحق زحام أفكاره، ما زال صوتها يتردد في أذنيه أعذب من أجمل نغمة موسيقية، لماذا لم ينسها رغم رفضها له؟ ما السر في هذا التعلق بإنسانه تعرّف إليها في وقت محدود وتعامل معها مرّات معدودة؟ ما زالت نظرة عينها تحاصره، حتى تلك الدمعة التي لمعت في عينها وهي ترفضه بلباقة ما زالت عالقة في ذهنه، ما السر وراء تلك الدمعة؟ هل أشفقت عليه أم هناك سر تخفيه؟ ما زالت أسئلة كثيرة تحاصره، حاول أن ينسى— لم يفلح، حاول أن يتناسى لم يفلح، ما زالت عينها تُطلّان بين أيامه لتُعيدا شريط ذكريات قصيرا لكنه كان له سحر خاص وتأثير ممتد في قلبه لم يستطع أن يزيله رفضها له.

لكن لا بد أن يحاول أن ينسى عليه ألا يملّ طريق النسيان، لا يجب أن يظل حبيس مشاعر ضلت الطريق إلى قلب لم ينبض بحبه، عليه أن يتحرر من هذه المشاعر، لماذا يشتري الألم بمشاعر غالية؟ عليه أن يهب قلبه ومشاعره لمن يستحق، وهي بكل تأكيد لا تستحق. لن يستمر في طريق الحب من طرف واحد، طريق شائك، كل خطوة فيه بجرح جديد، إنه قراره الذي سيبدل كل جهده لتنفيذه، أحيانا لا بد أن يكون النسيان قرارا، هذا قراره ولن يتراجع عنه.

الفصل الرابع عشر

مضى- الشهر، كم كان شهر بطيئًا طويلًا مملًا! لقد مرَّ عليها كأنه أعوام لكنه مرَّ، أخيرًا مرَّ بكل ما فيه مِنْ مرَّ، لكن عمر لم يخبرها بموعد العودة بل لم يتواصل معها منذ أمس، ماذا حدث؟ هل سَيَمُدُّ إجازته أيامًا أخرى؟ هل هذا معقول؟ كان يجب أن يبلغها بهذا، تساءلت: لماذا لم يخبرني بمد إجازته؟ هل خشي- رد فعلي أم ينفذ طلبات سمر؟ أم ماذا؟ مليون سؤال ومليون فكرة تحاصرها، ربما عاد إلى بيته الآخر وسيأتي غدًا، ربما، طوفان أسئلة لا تهدأ يُغرقها بين أمواجه العاتية، فكرت أن تطلبه هاتفياً، أمسكت بهاتفها وهَمَّت أن تحدّثه لكن تراجعته، عليها أن تنتظر لا بد أنه سيتكلم، تركت الهاتف إلى جوارها، انتظرت ساعة، ثم ساعة أخرى، ثم عادت تقلب في الهاتف لعله أرسل إليها رسائل لم تنتبه إليها، راجعت الرسائل من جديد فلا جديد.

ليس أمامها إلا أن تنتظر للغد، لا بد أنه سيتذكرها غدًا، أو ربما يعود غدًا، وكان عنوان أيامها كلمة واحدة (ربما).

جلست في الشرفة، كانت ليلة مقمرة، السماء رائعة، نظرت إلى القمر وأطلت النظر، حُيِّلَ إليها أن وجه القمر يبكي معها، يدمع لوحدها، سرحت مع صوت العندليب الخافت وهو يشدو إلى جوارها عبر هاتفها (أهواك واتمنى لو أنساك وانسى- روحي وياك لو تنساني، وانساك واتاريني بانسى- جفاك واشتاق لعذابى معاك ارجع تانى). الوقت يمضي وهي ساهرة تنتظر أن

يكتب إليها ولو كلمة واحدة. الليل يمضي— وهي ما زالت في جلستها مستسلمة للانتظار القاتل إلى أن غلبها النوم فنامت على مقعدها.

ها هي لمسة يده الحانية على شَعرها وقُبلة الحياة على جبينها وهمس صوته يقول بكل الحب:

- وحشتيني قوي قوي.

ابتسمت وهي مغمضة العينين، متمسكة بالحلم الجميل، فأعاد همسه في أذنيها وقَبَلها مرة أخرى، ففتحت عينيها في شك: أهو حلم أم حقيقة؟ رأيته أمامها، فقفزت من مقعدها وتعلقت في عنقه وحملها كطفل صغير بين يديه، وطاف حول نفسه وهي في حضنه يعلو بها فوق ليالي الصبر والشوق والآلام والجراح، بصوت يدغدغه الحنين يردد (وحشتيني وحشتيني وحشتيني). أهي دقائق في الحلم أم الواقع؟ حينما تَمُلك السعادة فجأة بعد طول انتظار تفقد الشعور بالزمن ويختلط الحلم بالحقيقة، فعادت تتساءل من جديد:

- أنا خايفة اني اكون باحلم، عُمر.. إنت معايَ بجد؟

- وحشتيني، ياه، أخيراً، أنا اللي متهاياً لي اني باحلم.

- ليه ما قلتَ ليش انك جاي يا عمر، أنا كنت هاتجنن واسمع صوتك.

-كنت عايز اعمل لك مفاجأة، بس واضح اني قلقتك.

- ما ينفعش يفوت يوم ما اسمعش صوتك، إنت جيت إمتى؟

-لَسًا واصل، وصَلتْها الشقة بس.

- معقول يا حبيبي؟! بس كدا تعب عليك جدًا.

- أنا كنت تعبان حقيقي، بس لما شُفتك نسيت كل التعب.

كيف يُنهي ليالي الأمل بلمسة واحدة؟ كيف يأخذها من عالم جراحها إلى عالم عشقه؟ كيف يُخلِّق بها في سماء صافية لا تعرف الغيوم؟ أمام عينيه تنسى كل ما مضى كأنها تُولد من جديد، أو كأنها وُلدت فقط لتحبه.

.....

كان أمجد يجلس في مكتبه يتابع أعماله الإدارية لا سيما وأن ياسمين أصبحت منشغلة باستعدادها للزواج، كثر غيابها عن العمل، وكثرت أعباؤه الإدارية، لكن لا بأس، العمل هو أفضل وسائل النسيان، تتوارى الذكريات في زحام المسؤوليات، ولكن فجأة عادت الذكريات تتجسد أمامه من جديد، إنها هي تطرق مكتبه، تستأذن في المدخول، هَزَّ رأسه بالموافقة، تقدمت نحوه في خجل وارتباك ذكَّره بأول مرة رآها فيها، كانت ترتدي فستانًا بُنيًا طويلًا، ينساب شَعرها الطويل ستارةً حريريةً سوداء يحيط جمالها الأخاذ كأنها أميرة احتكرت الجمال لنفسها، لا ينقص من جمالها إلا الحزن الذي يكسو ملامحها، جلست أمامه وقالت بصوت هادئ:

- أنا كنت جاية اشكر حضرتك على تعبك معايا أنا وماما، وكنت عايزة....، أنا... باعتذر عن....، أشوفك على خير.

هَمَّت بالمغادرة فاستوقفها غاضبًا:

- استني لو سمحت، هو انت متعودة تتكلمي وما تسمعيش؟ وبعدين انا ما فهمتش بصراحة انت جاية ليه.

توقفت ونظرت إليه بحزن بالغ.

- أنا قلت جاية اعتذر، وجاية اشكرك.

- لو على الشكر لا شكر على واجب رغم انك شكرتيني كثير قبل كدا، لو على الاعتذار انتِ ما غلطيش، من حَقك تقبلي الارتباط بيَّ أو ترفضيـ إنتِ مش جاية عشان كدا.

صمتت وكأنَّ الرد ثقيل جدًّا، بينما هو يحملق في وجهها، لم تتمالك دموعها، وقالت:

- خلي بالك من نفسك، أرجوك.

هرولت مسرعة إلى الخارج وتركته في تشتت وحيرة، ممَّ تخاف عليه؟ وما الخطر الذي يقترب منه وجعلها تأتي إليه خُصيصًا لتحذره؟ ولماذا تهتم وتخاف عليه من الخطر؟ ترفضه دون أسباب وتحذره دون أسباب، أيستوقفها بالعتاب أم يهرب منها كما تهرب منه؟ كلما قرر الابتعاد وحاول النسيان عاودت الظهور لتهدم ما يبنيه في سور النسيان ويعود كأنه ما فعل شيئًا.

مرَّت ثلاثة أيام، وصوتها وصورتها لا يفارقان تفكيره أبدًا، يراقب هاتفه، ربما تراسله أو تفكر في محادثته، لم لا؟ ألم تأتِ إليه خُصيصًا؟ ليس بعيدًا أن تحدثه هاتفياً، وبالفعل جاءه اتصال من رقم لا يعرفه، أتكون هي؟ لكن لماذا تتواصل من رقم لا يعرفه؟ لم يَرُدَّ، بالتأكيد ليست هي، مرَّت دقائق وعاود نفس الرقم الاتصال، عاد نفس السؤال بداخل عقله: هل هي؟ ولماذا كل هذه الحيرة؟ رَدَّ على المكالمة، كان رجل أجش الصوت يسأله بتعجرف شديد:

- إنت الدكتور أمجد حافظ؟

- أيوه، مين معاي؟

- هما كلمتين تسمعهم لمصلحتك، ابعد عن نرمين نهائي، أنا باحذرك.
ثم انقطع الاتصال وأنهى الرجل المكالمة سريعاً، أدرك أمجد أن تحذير نرمين له يكمن وراءه سرٌ حقيقي، لا بد أن يفهم ما يحدث، الأمر لا يحتمل الانتظار.

اتصل بها بعد مكالمة الرجل بدقائق وحَدَّثها بانفعال شديد وغضب بالغ، حاولت أن تعتذر، حاولت تهدئته وطلبت منه أن يمنحها دقائق لتوضيح الأمر لكنه رفض بشدة وأصرَّ على أن يقابلها، حدد الموعد في الخامسة مساءً في نفس المكان الذي التقيا فيه آخر مرة ثم أنهى المكالمة.

ذهب أمجد في الموعد وجلس ينتظرها، لم تتأخر إلا خمس دقائق فقط، جاءت ويبدو عليها الارتباك والقلق، جلست وقالت:
- أنا آسفة، أنا هاتصرف، أنا ما كنتش عايزة الموقف دا يحصل، أرجوك ما تتضايقش.

- يعني إيه ابعد عن نرمين؟ مين دا أصلاً؟ جوزك يعني ولا خطيبك ولا مين؟

صمتت تماماً، وأدارت وجهها بعيداً، فسأل مرة أخرى:

- حبيبك؟

- لا جوزي ولا خطيبك ولا حبيبك، ابن عمي.

- مش ممكن دا يكون ابن عمك، دا تقريباً من صوته كدا بلطجي.

- أوعدك ان اللي حصل دا ما يحصلش تاني.

- لو سمحتِ ممكن افهم الموضوع؟ أنا مش بادخل في حياتك لكن انا من حقى افهم لأن الراجل دا بيهددني وكأني عدو ليه.

- معتز عايز يتجوزني، وانا الموت عندي أرحم من اني اعيش معاه.

- مش قادرة تحبيه؟ ولا عشان ما بتفكريش في الجواز برضو؟

- عمي اتوفي من ٨ سنين قبل وفاة بابا بسنة، معتز هو الابن الكبير واخواته بنات، ساب الجامعة بعد وفاة عمي، صرف ميراثه وميراث اخواته، اخواته ربنا كرمهم بعمرسان ولاد حلال، وارتاحوا من شره، وما بقاش وراه غير انه يطاردني.

- بيحبك؟

- طمعان في، بابا كتب كل حاجة باسمي قبل ما يتوفي، بالنسبة له أنا عروسة غنية وضعيفة عشان ما ليش حد يقف في وشه. أنا رافضة اتجوزه، في المقابل هو مش سايبني في حالي، متابع كل تحركاتي، وكل ما يعرف ان فيه عريس هيتقدم لي يروح يهدده.

- عشان كدا جيت تحذريني؟

- أنا كنت خايفة عليك منه.

- خايفة علي ولا بتحبيني زي ما باحبك؟

- أنا ما ينفعش احب حد، معتز مجنون.

- والله انت الي مجنونة عشان تخافي من واحد زي دا، أنا عايز اسمع منك رد واضح بتحبيني ولا لأ؟ أنا ما يهمنيش تهديد واحد زي دا، هو احنا في غابة؟

- باحبك يا أمجد، لكن لازم تبعد عني، دا ممكن يأجر بلطجية يأذوك لو اتخطبنا، لا، مش ممكن اتحمل ان يحصل لك أي حاجة بسببي.

- أخيراً قلتيها، أنا طول الفترة اللي فاتت بافكر فيك، حاولت انساك ما عرفتش وما قدرتش، النهاردا أحلى يوم في عمري، على فكرة انا حبيت ابن عمك.

- إنت بتقول ايه؟

- أنا من كام ساعة كان متهيأ لي اني عايش حُب من طرف واحد، دلوقتي أنا اتأكدت ان عايش أحلى حُب مع أحلى بنت.

- أنا خايفة.

- لو بتحبيني خليكِ واثقة اني اقدر احميكِ، ولو ما قدرتش أبقي ما عرفتش احبك.

.....

عُقِدَ قران ياسمين عَلَى نادر الصاوي في حفل هادئ، اقتصرَ على المقربين فقط، وبدأت ياسمين حياة جديدة مليئة بالحب، سافر العروسان لقضاء شهر العسل، وبقيت جنى مع جدتها تحظى برعاية كبيرة واهتمام بالغ من الجميع، لا يَكْفُ أمجد عن تدليلها ولا شراء الهدايا واللعب، أما مريم كانت تأخذها أحياناً معها خصوصاً في الأوقات التي لا يتواجد فيها عمر. بينما اختفى سامح من الصورة تمامًا، لقد أبلغهم أنه مسافر للعمل في الخليج بعد أن علم بخطبة ياسمين بشهرين، وأوصاهم بابتنته خيرًا، لقد قرر الهروب من حياته الماضية وكل إحباطاته في مصر. ربما كان قرار ياسمين بالزواج صدمة

قاسية شَعَرَ أَنَّهُ لَنْ يُشْفَى مِنْهَا بِسَهُولَةٍ إِلَّا إِذَا غَادَرَ الْبِلَادَ، يَحْتَاجُ أَنْ يُعَيَّرَ
عَالِمُهُ بِالْكَامِلِ، عَلَيْهِ أَنْ يُولَدَ مِنْ جَدِيدٍ فِي عَالَمٍ جَدِيدٍ، عَالَمٍ بَعِيدٍ عَنْ كُلِّ مَا
يُوقِظُ ذَكْرِيَاتِهِ، هُنَاكَ سَيَنْسَى— كُلَّ شَيْءٍ، سَتَكُونُ غَرْبَتُهُ وَوَحْدَتُهُ فِي بِلَادِ
الْغَرْبَةِ أَقْلَ أَلْمًا مِنْ غَرْبَتِهِ وَوَحْدَتِهِ فِي وَطَنِهِ وَبَيْنَ أَهْلِهِ، سَيَكُونُ بُعْدُهُ عَنْ
طِفْلِيهِ أَقْلَ أَلْمًا مِنْ بُعْدِهِ عَنْهُمَا فِي مِصْرَ— لَقَدْ أَصْبَحَ بَقَاؤُهُ فِي مِصْرَ— وَحِيدًا
مُؤَلِّمًا إِلَى حَدِّ الْاِخْتِنَاقِ، مُوجَّعًا إِلَى حَدِّ الْاِحْتِرَاقِ، عَلَيْهِ أَنْ يَتَنَفَّسَ هَوَاءً جَدِيدًا
فِي بِلَدٍ جَدِيدٍ لَعَلَّهُ يَسْعَدُ مِنْ جَدِيدٍ، لَعَلَّهُ يَجِدُ سَامِحَ الَّذِي تَمَنَّاهُ.

الفصل الخامس عشر

استطاع عُمر أن يُسعد مريم ويملاً كل حياتها حُبًّا حتى في أيام غيابه عنها، في الأيام التي كان يقضيها مع سمر كان يداعبها بباقات الزهور التي تحبها، يرسلها إليها في كل يوم من أيام بُعده عنها، يحتويها برسائل عشق وهيام لا يكتبها إلا عاشق متيم، يؤنس وحدتها بمكالمات هاتفية مليئة بكلام العشاق وكأنهما في أيام الزواج الأولى، أما أيامها معه مَمْضِي— بين ليالي رومانسية في البيت أو سهرات جميلة في كل الأماكن التي تُحبُّها، كان يبرهن على حُبِّه لها في كل لحظة يقضيها معها وفي كل لحظة يبعد عنها، أجبرها أن تتمسك بحياتها معه وحُبها له، عَلَّمَهَا كيف تتناسى وجود زوجة أخرى في حياته، وما أصعب هذا الأمر! عَلَّمَهَا أن الرجل يمكن أن يتزوج مَرَّات ومَرَّات لكن القلب مَمْلُوكه واحدة فقط، وهي فقط مَنْ تملك قلبه.

لم يكن عُمر مُهملاً في حق سمر، بل كان زوجاً مثاليًّا، لا يؤخر لها طلبًا، يغدق عليها الهدايا، طيب المعاملة، يقسم أوقاته بين زوجته بعدالة متناهية، لكن سمر لم تكن راضية ولا قانعة بكل هذا، إنها تريد قلبه، تريد حبه، ما زالت مريم لها النصيب الأكبر، مهما يحاول أن يعدل بينهما، فلن يستطيع، إنه يحب مريم، مريم ما زالت هي الحبيبة قبل الزوجة، إنما هي ليست إلا الزوجة فقط، حاولت أن تتسلل إلى قلبه وروحه، لكن أبواب قلبه مُوصَّدة، أغلقها الشقراء ببراعة، لا تنكر أنه يقول لها (أحبك) لكن تبقى كلمات شفاه باردة، كلمات القلب ليست هكذا تقال، ما زال عُمر لا يعرف

كيف يقول لها (أحبك) بقلبه، يتصنع معها الحب فلا تشعر بكلماته، قلبها لا يصدق ما لا ينبع من قلبه، حتى هو يعرف أنه يكذب وهو لا يحب الكذب، فلا يقول (أحبك) إلا ردًا على كلمة حُبٍّ منها، يقولها أداء واجب دون رغبة حقيقية منه، كانت تعلم أنها ستواجه تلك المصاعب لكن الأمر أصعب مما تظن، في كل الأحوال إنها على يقين أن القادم أفضل، إنها تثق أن أيام مريم في حياته باتت معدودة، سيأتي يوم وترحل تلك الشقراء عن حياته وحياتها، يَوْمٌ ما ليس بعيدًا سيصبح عُمر لها وحدها، وستملك السعادة الكاملة.

.....

عادت ياسمين وزوجها إلى القاهرة واستقرت جنى مع والدتها، استطاع نادر في وقت قصير أن يتقرب إلى الطفلة، لقد كان بالغ الحنان مع الأطفال، مُحبًا لهم بشدة ويجيد التعامل معهم، لم يكن هناك أسعد من ياسمين بالتفاهم المتبادل بين ابنتها وزوجها، ربما هذه النقطة تحديدا كانت تؤرقها وسبب ترددها في بداية علاقتها مع نادر، لكنه سرعان ما أدرك مخاوفها وطمأنها كثيرًا قبل الزواج بأن جنى ستكون ابنته، والحقيقة أنه استطاع أن يُثبت ذلك عمليًا بعد الزواج. شعرت ياسمين أنها أخيرًا وجدت الراحة والاستقرار، أخيرًا وجدت الحب لتعرف أنها قبل الحب ما كانت تحيا، حَقًّا مَن فاتته الحُب فاتته الحياة بأكملها.

وكان أسرة حافظ على موعد مع السعادة، لقد أخبرهم أمجد برغبته في الزواج وطلب من والدته أن يتقدم لخطبة الفتاة التي يُحبها، كانت سعادة الأم فوق الوصف بهذا النبأ، سنوات وهي تلح على ابنها أن يتزوج، وكم غضبت منه بسبب تأجيله هذه الخطوة المهمة في حياته، كانت متشوقة أن

ترى مَنْ تلك الفتاة التي خطفت قلبه وجعلته سعيدًا ومتلهفًا على الزواج بهذه الصورة، لم تكن الأم وحدها المشتاقة للتعرف إلى نرمن بل كل الأسرة.

حدد أمجد موعدًا لزيارة عائلته لوالدة نرمن، حضر- الدكتور عبد الرحيم معهم، لم يكن هناك أحد من عائلة نرمن، كانت وحدها هي ووالدتها، تَمَّ الاتفاق بينهم في أجواء ودية للغاية، وأعجب الجميع بالعروس وما تبدو عليه من جمال وأخلاق، وتَحَدَّد موعد الخطبة بعد أسبوعين.

كانت ليلة رائعة ارتاح فيها قلب أمجد من حيرة حاصرتها طويلاً، واطمأنت نرمن بحُبِّه وحُبِّ عائلته لها، شعرت بالود والمحبة من أختيه ووالدته وعمه، شعرت معهم بدفء العائلة الذي تفتقده، لقد انقطعت عائلة والدها عن زيارتهم بعد وفاة الوالد، فَتَرَّت العلاقات، وتقطعت خيوط المودة والقربة، لا سِيَّما أن كل العائلة تسكن في إحدى قرى المنوفية، حتى بنات عمها تزوجن في محافظات أخرى، بعدت المسافات وانقطعت العلاقات، ولم يَبْقَ من أهلها في القاهرة إلا ابن العم الضال المستهتر، الذي كلما تذكرته مَلَّكَهَا قلق لا تعرف سببه رغم أن أمجد تقريبًا لا يرى تهديده إلا غباءً وهمجيةً آخرها كلام، ولن يتجرأ أبدًا على أكثر من الكلام بينما تراه هي إنسانًا بلا أخلاق ومن الممكن أن يفعل كل شيء بنفس همجية كلامه، لكنها اقتنعت برأي أمجد أنَّ عليها أن تتمسك بحقها وتدافع عن اختياراتها، فهي أقوى من أي أحد ما دامت على حق.

بدأت نرمن استعدادها لحفل خطبتها، كانت الأيام تَمُرُّ سريعًا، اليوم يَمُرُّ كأنه ساعتان من كثرة انشغالها في الاستعداد لهذا اليوم.

ما أروع تلك الليلة! والسعادة تَلْفُ الجميع، نرمن تتألق يوم خطبتها في فستان فضي رائع وإلي جوارها أمجد في بذلة أنيقة فخمة، الموسيقى الصاخبة والأغاني صوته يبعث البهجة في نفوس الحاضرين، جلس المهندس مراد

وزوجته مع الدكتور عبد الرحيم، بينما بقيت والدة أمجد واقفةً إلى جوار أمجد، أما جنى كانت منبهرة بالعروس وواقفة إلى جوارها، بينما جلست ياسمين إلى جوار نادر، أما مريم كان يبدو عليها التوتر رغم ابتسامتها التي لا تفارق شفيتها، لقد تأخر عُمر عن الحضور، لقد قضت يومها منشغلة بالاستعداد للحفلة وتواعدا أن يتقابلا في قاعة الاحتفال، كلما اتصلت به، وجدت هاتفه مُغلَقًا. جلست وحدها في آخر القاعة تراقب الهاتف، وربما أرادت أن تهرب من أسئلة الضيوف الذين يسألونها عن عُمر كلما رأوها وحدها. ما الذي جعله يتأخر هكذا؟ لا بد أن هناك سببًا قويًا، كلما مضى الوقت زاد قلقها عليه، عاودت الاتصال به، أخيرًا الهاتف ليس مغلقًا، كررت الاتصال أكثر من مرة إلى أن رد على الاتصال، فسألته بلهفة بالغة:

- فيه إيه؟ أنا هاموت من القلق عليك.

- لا، أنا تمام، ما تقلقيش.

- ما جيتش ليه؟

صمت ثواني ثم قال:

-الحقيقة، سمر تعبانة ووديتها للدكتور، نخلص وهارجعها البيت، واجي إن شاء الله.

صمتت قليلًا ثم قالت:

- أوكي، إن شاء الله خير.

وقفت دقائق تائهة في مكانها، تلك الليلة تذكرت أن هناك زوجة أخرى، تناست طويلاً حقيقة لا تُنسى عُمر ليس ملكها وحدها، غرقت في أفكارها

وخفت صوت الموسيقى في أذنيها، وضاق براح الوجود حولها، سافرت إلى عالم أحزانها، لم يَرُدّها إلى نفس المكان إلا صوت عَمّها مراد وهو يسألها:

- عُمَر فين؟

فنظرت إليه نظرة مليئة بالعتاب وقالت:

- مع سمر.

تركته وعادت لتجلس بين الحضور قبل أن تنزل دموعها ووقتها ستتكشف أحزانها أمام الجميع.

قارب الحفل على الانتهاء وأخيرًا وصل عُمَر، جاء مبتهيجًا سعيدًا، وكأنه ما كان في مستشفى، هنا العروسين وصافح الحضور ثم بحث عن مريم وجلس إلى جوارها، اعتذر كثيرًا عن التأخير، وهي صامتة تتأمل سعادته التي تبدو واضحة، سعادة تُنير وجهه، هل سعيد لسعادة أمجد؟ لا يبدو لها الأمر كذلك، حتى صوته يَنُمُّ عن فرحة بالغة، ظلّ يحكي معها عن العروسين، عن القاعة، كثر كلامه لكن لم يكلمها عنها، لم ينتبه إلى فستانها أو شعرها، لم يمتدح جمالها، شعرت أنه لا يراها، كأنه مشغول بأمر آخر، فسألته:

- سمر عاملة إيه؟

- الحمد لله كويسة.

- إيه؟ الدكتور قال لك إيه؟

صَمَت ثواني ثم قال:

- لا برد عادي، مغص عادي، عادي يعني.

صمتت وهي تشعر أنه يكذب، ما الذي تبدل فيه؟ ما الذي يخشى- أن يقوله؟ إنها تعرفه أكثر مما تعرف نفسها، فلتدع الليلة تَمُرّ، والأيام لن تُبقي شيئاً في الخفاء.

انتهى الحفل وعادت مريم مع زوجها، وبمجرد دخوله الفيلا فاجأها بأنه مضطر أن يكون إلى جوار سمر الليلة، ربما يعاودها الألم فجأة. فنظرت إليه طويلاً ثم قالت:

- مبروك يا عمر، اللي يسعدك يسعدني، حقها تكون جنبها وتفرحوا مع بعض بخبر الحمل.

- مريم، أنا ما اقصدش اخبي عليك، بس ما كنتش عارف ابدأ ازاي.

- فاهمة ومصدقة، سلام.

صعدت إلى غرفتها، ووقف عُمر حائرًا يشعر أنه أساء التصرف، لم يقصد الإساءة لكنه أساء، لم يقصد أن يخفي عنها الخبر لكنه أخفى، وقف دقائق يفكر هل يعتذر، هل يبقى هنا الليلة، لا يعلم، جلس على مقعد يفكر ماذا يفعل، وبعد نصف ساعة قرر الانصراف إلى البيت الآخر، فرمى كثرة الكلام الليلة تزيد الخطأ لا تصلحه.

في اليوم التالي عَلم مراد وزوجته الخبر المنتظر، يا لها من سعادة، كانت سعادة مراد أكبر من أن تصفها كلمات، كل ما حَظَّط له يسير على ما يرام، عُمر استقر في حياته مع زوجته، سيصبح أبًا، لم يُضَحْ بشيء ولم يخسر شيئًا، بل حقق مئة في المئة مكسبًا، بلُغِة السوق زواجه الثاني صفقة رائعة. العقل دائماً هو مَنْ يكسب في النهاية ولا يَسمع حديثَ القلب إلا الجُهلاء وهم كثيرون.

الفصل السادس عشر

تغاضت مريم عن موقف الليلة الماضية، وحينما حَدَّثَها هاتفياً تحدثت معه بتلقائية كأنَّ شيئاً لم يكن، التمسَتْ له ألف عذر وغفرت له كل ذنب، لأنها بكل صدق ما زالت تُحِبُّ، ما زالت لا تقدر أن تحيا دونه، لكن هل ما زال لا يستطيع أن يحيا دونها؟

طَلَّ عليها شبح الخوف من جديد، الخوف على هَوَى هو لها كل شيء، إن فقدته فستفقد كل شيء، يبدو أن الخوف سيكون عنوان أيامها القادمة، هو فقط مَنْ يبدل خوفها أماناً، هو مَنْ بيديهِ أن يهدم أسوار خوفها ويَرُدُّها إلى الحياة التي وعدا بها، إن كان قد ارتبط بأخرى رغماً عنه، فلن ينساها رغماً عنه، إن دام الحُب دامت في القلب، دامت في العين، فهل ستبقى في قلبه؟ في الماضي كانت تعرف الإجابة لكنها الآن أمام مستقبل غامض وحياة تستكشف ملامحها يوماً بيوم. تُرى ماذا تُخفي لها الأيام؟

لم يكن هناك مَنْ هو أسعد من سمر، لم يكن عُمر معها بكل هذا الاهتمام واللفظ مثل هذه الليلة، كأنه يريد أن يحملها بين ذراعيه خوفاً عليها، لكن أيخاف عليها أم يخاف على الجنين؟ تساءلت ثم أجابت:

- ما الفرق؟ حُبُه لابنه هو الجسر - الذي سيمتد من قلبي إلى قلبه، من روعي إلى روحه، هذا الجنين هو الذي سيحطم كل الحواجز التي بيني وبينه، سيعصف كالإعصار بالشقراء بعيداً عن حياتنا. حقاً فالله وهب لي طفلاً سيُعِيد إليَّ كل ما ضاع مِنِّي، ويرسم لي القادم كما أتمنى، الحمد لله،

ماذا أتهنى بعد ذلك؟ لا شيء، بعد أن يحبني عمر، لن يكون في هذا العالم ما أتهناه، حُبُّه كل المُنَى.

كان عُمر يعيش مشاعر جديدة عليه، مشاعر من نوع خاص، كثيرًا ما كان يفكر في نوع الجنين، ذكرًا أم أنثى، وما الأسماء التي يختارها للمولود أو المولودة، لم يفكر طويلًا في الأسماء لقد اختارتها مريم منذ زمن، إن كان المولود ولدًا فسيكون مازن وإن كانت بنتًا فإنها نور، نعم، ليس هناك أجمل من تلك الأسماء، كل ما تختاره مريم جميل، لكن ما رأي سمر؟ صمت قليلًا ثم أجاب: ولماذا ترفض؟ ستظن أن الأسماء اختياري أنا، هي تحبني وستوافق من أجلي، ربما هذا يُسعد مريم، ربما، لقد تصرفتُ بحماقة وترددتُ في إخبارها بحمل سمر، لعل هذا يُكفِّر عن خطئي وحماقتي.

.....

كان أمجد في المستشفى يتابع عمله اليومي، وجاءه زائر مصمم على مقابله ورفض أن يذكر اسمه أو سبب الزيارة، سمح أمجد بالمقابلة، دخل إليه شاب أسمر البشرة متوسط القامة، بدين، غير مهندم المظهر، يرتدي ألوانًا غير متناسقة تُنمُّ عن ذوق مُتَدَنٍّ، تقدم نحوه بعجرفة وغرور، جلس أمامه في تكبر وقال بسخرية:

- طبعًا انت مش عارف انا مين.

- لا، إزاي، إنت معتز.

- الله، هي نرمين شايلة صوري ولا إيه؟

- الحقيقة هي مش طايقة تسمع اسمك عشان تشيل صورتك.

- آه، دا انت نبيه بقى.

- حاجة زي كدا.

- عجبتني، أحب انا اللي بيّفهم، ندخل في الملفيد، نرمين بنت عمي، أبوها وابويا قرأوا فاتحتنا واحنا في اللفة، وانت اتعديت الأصول لما خطبت خطيبتي.

- باقول لك ايه، ما تجيب من الآخر عشان اللي بتقوله دا رغي ما لوش لازمة.

- ليّ عندك حق عرب، مليون جنيه كويس؟

- إنت شارب حاجة ولا إيه؟

- باشرب كل حاجة، كحوليات، مخدرات، ومصاحب بلطجية البلد كلها، قدامك أسبوع تحضّر لي المبلغ وتديني رنة، حلو الكلام؟ سلام يا دكتور.

انصرف معتز، لم يُفاجأ أمجد من تصرفه ولا هيئته، لم يختلف كثيراً عن الصورة التي كوّنها عنه من حديث نرمين، ربما تأكد أن ما قالتها عنه نرمين من أن معتز يمكن أن يفعل أي شيء من أجل المال لم يكن مبالغاً فيه، بل هو حقيقة لا تقبل النقاش.

إذاً عليه أن يتحرك سريعاً، عليه إجراء حاسم ضد هذا الشخص ليحمي نفسه وخطيبته.

تواصل أمجد مع صديق مقرب له ضابط شرطة وحكى له القصة كاملة، وأخبره بالجلسة التي كانت بينهما، بل أخبره أنه سَجَّل على هاتفه الحوار الذي دار في الجلسة، طمأنه صاحبه وأخبره أن يَعْتَبِر الأمر منتهياً تماماً.

لم تمضِ أيام حتى قُبِض على معتز مع أصدقاء السوء في قضية مخدرات، أخبره صديقه أن هذا الشاب له سوابق عديدة، فوق قضية المخدرات، هناك قضايا شيكات دون رصيد.

انتهت قصة معتز، وأُغْلِق باب كان مزعجاً للغاية. اطمأنت نرمين وانتهى هذا الإزعاج الذي كان يطاردها، لقد وعدّها أمجد أن يحميها وأوفى بالوعد لأنه يُحِبُّهَا حُبًّا حقيقيًّا. حَقًّا الحُبُّ يُغَيِّرُ الحياة.

.....

كثير دلال سمر في أشهر الحمل، كانت تتعمد الشكوى وادعاء التعب في أثناء تواجده مع مريم، تُزَعِجه في ساعات متأخرة ليلاً وهو مع مريم لتشكو وتتألم وتدّعي ضرورة أن يصطحبها لأي مستشفى، الأغرب أن عُمر كان يُصَدِّق في كل مرة شكواها بكل سذاجة، يهرول إليها دون أن يفكر لحظة فيما تقول، تتكرر المواقف ويتكرر رد فعله بنفس الطريقة كأنها المرة الأولى.

شوقه إلى هذا الطفل ولهفته عليه أصبح نقطة ضعفه التي عرفت سمر كيف تستغلها بمهارة عالية. زاد ضعف عمر أمامها واهتمامه بها أكثر وأكثر حينما عَلِم أنه سيصبح أباً لتوأم ولد وبنت، كانت مفاجأة التوأم سارّة للجميع والأجمل أنها لم تكن متوقعة ولا حتى منتظرة، أصبح أغلب أوقاته بين سمر وعمله وأصبحت مريم ثالث اهتماماته، ولكن مريم كانت ترى

أنها آخر اهتماماته وربما ليست في اهتماماته، لم تكن مريم تبالغ في هذا الاعتقاد بل تَغَيَّرُ عُمُرٌ كثيرًا، كثرت اعتذاراته وأعذاره، طالت أيام غيابه، قلَّتْ محادثاته الهاتفية معها، كل شيء تَغَيَّرَ وتبدل إلى الأسوأ، وكلما تقدمت سمر في أشهر الحمل زاد إهماله لمريم وبُعده عنها، حاولت أن تصبر، لعلها اللهفة الأولى التي تزول تدريجيًا بعد أن تلد سمر التوأم، وكلما صبرت، توترت أعصابها وذبل شبابها، لجأت إلى العم الحبيب وإلى الطبيب الدكتور عبد الرحيم، هي حَقًّا تحتاج إلى علاج، طلب منها أن تتابع معه في جلسات منتالية ووصف لها بعض أدوية الاكتئاب والمهدئات، نصحها أن تنغمس في العمل، فهو السبيل للخروج من هذه الدوامة.

تَسْهُلُ النصيحة ولكن يَصْعَبُ التنفيذ، كيف تخرج من الدوامة؟ علاقتها بِعُمُر هي الدوامة.

لكي تخرج من الدوامة عليها أن تخرج من حياته، يا له من قرار! تحتاج إلى قلب غير القلب وروح غير الروح وعين غير العين لكي تأخذ هذا القرار، أين لها بقلب لا يُحِبُّه وروح لا تعشقه وعين تعرف كيف ترى الحياة دونه؟ أين لها بكل هذا إن كانت لا تشغل عنه إلا به ولا تنسى إلا نفسها لتتذكره؟ ماذا تفعل في حُبِّ أَنْهَكَ روحها وقلبها؟ ماذا تفعل؟

مَرَّتْ أشهر الحمل وأصبح عُمُرُ أَبَا لتوأم جميل غير متماثل، الولد يُشبهه عُمُر بينما البنت تشبه والدتها، نَقَذَ ما قرر وسَمَّاهما مازن ونور، لقد تركتْ له سمر اختيار الأسماء بمنتهى القبول والرضا.

انتظرت مريم أن يُعَوِّضَهَا عُمُر عن أيام إهماله لها، انتظرت أن يعود عُمُر الذي أَحَبَّته.

مضت ثلاثة أشهر أخرى ولم يتغير شيء، الحيلُ نفسها التي كانت تستخدمها سمر قبل الولادة تُعيدُها بعد الولادة مع التجويد، فكانت تعتمد أن تُخبره بأن أحد الطفلين مَرَضَ فجأةً كلما كان مع زوجته الأولى، كانت مريم واثقة أنها تعتمد إبعاد عُمر عنها لأنهما لا يمرضان إلا وعُمر معها، الذي تَغَيَّرَ في هذا الأمر أنَّ عُمر أصبح أضعف وأضعف، كان يتعلق بالطفلين قبل أن يراها وهما في رحم أمهما، فماذا بعد أن أصبحت حقيقة؟ حُبُّه لأطفاله علّا فوق أي مشاعر بداخله، لم تجتهد سمر في الأفكار ولا الحيل كي تأخذه منها، كل أفكارها وحييلها مكررة والهدف منها واضح وضوح الشمس لكَيْتَه لا يريد أن يفكر، لا يريد أن يرى لأنه هو أيضًا أصبح يريد أن يقضي- وقته مع عائلته، الزوجة والأبناء، هذا هو مفهوم العائلة، نَعَم سمر وطفلها هُم العائلة، لكنَّ مريم حُبٌّ تَبَقَّى منه الأطلال، هكذا بدأت مريم ترى حياتها مع عُمر، أطلال حُب، بقايا عشق. فهل حان موعد الخروج من الدوامة؟

.....

جاءت الليلة التي ينتظرها أمجد ونرمين، كان حفل زفاف رائعًا، تألقت العروس بفستان زفاف باهر، تعالت الموسيقى الصاخبة والأغاني، كانت السعادة ترتسم على وجوه الجميع، وأطلَّ الحضور بأزياء رائعة، كانت مريم ترتدي فستانًا رائعًا لكنه أسود اللون، أبدى عُمر اعتراضه على اللون منذ الوهلة الأولى، أيَّدت ياسمين رأيه وأخبرته أنها نصحتها كثيرًا بأن تختار لونًا فاتحًا لكنها أصرَّت على اللون الأسود، كانت مريم تسمع فقط ولم تُردِّد، لم

تجادل، لم تدخل في النقاش وكأنَّ الكلام لا يَخُصُّها، شَعَرَ عُمر أنها تعامله بجفاء، فقال بلطف:

- على العموم مريم جميلة في أي حاجة تختارها.

لم تلتفت إليه، لم تبتسم، لم تُعَلِّق، جَلَسَا مَعًا على الطاولة يتابعان فقرات الحفل، إلى أن جاءت فقرة الرقص الهادئ، التفت إليها عُمر:

- إيه رأيك نرقص؟

- لا.

- ليه؟ ياسمين ونادر بيرقصوا، يَلَّا بينا.

نظرت إليه نظرة مليئة باللوم والعتاب، مليئة بالرسائل، قرأ بعضها وأدرك أنَّ لديها غضبًا كبيرًا وكلامًا كثيرًا ستقوله حينما تتاح الفرصة.

انتهى الحفل وعادا مَعًا إلى الفيلا، بدلت ملابسها وأخبرته أنها تريد أن تتحدث معه، فقال:

- طبعًا يا حبيبتي، أنا كمان عايز اتكلم معاك كثير، مريم أنا عارف اني مقصر في حقك الفترة اللي فاتت، عارف انك اتحملت كثير، أنا آسف.

نظرتُ إليه في صمت، نفس تلك النظرة القاتلة التي كانت تحاصره بها في الحفل، ثم قالت بهدوء:

- أنا اللي عايزة اعتذر لك.

- على إيه؟

- في يوم من الأيام وعدتك اني اقبل اكون جزء من حياتك، ها قبل بنص قلب ونص قرب ونص حب، لأنني من غيرك هاموت، أنا كنت فاكرة اني ها قدر اعيش كدا، لكن لما عشت التجربة اكتشفت ان الي يرضى بنص قلب بيخرج من القلب، والي يرضى بنص قرب بيختار البعد، والي يرضى بنص حُب هيتنسي— أنا كنت فاكرة ان الموت اني اعيش بعيد عنك، لكن اكتشفت ان الموت اني اعيش جنبك منسية يا عمر، أنا آسفة مش ها قدر انفذ وعدي.

كان يستمع إلى كلامها وهو في حالة من الصدمة، هل نسيها لدرجة أنه لم يُدرك أن رصيده في قلبها قارب على النفاد؟ كلماتها شديدة الألم، شديدة التأثير وكأنها خنجر في قلبه الذي هدأت مشاعره ولم يُدرك ماذا يخسر، فقال متأثراً:

- مريم، إنتِ بتقولي إيه؟ إنتِ كل قلبي وكل حبي وكل حياتي، أنا ما اتغيرتش، أنا باحبك.

- ما قلتش انك بتكرهني، لكن بقى فيه عيلة وأسرة هما أولى بوقتك ومشاعرك.

- مريم، إنتِ منفعة، متأثرة بالفترة الي فاتت، أنا عارف اني غلطان لكن صبرك وسكوتك ما خلُونيش انتبه اني باوجعك قوي كدا.

- عرفت يا عمر انك اتغيرت؟ الي بيحب حد بيعرف إيه يجرحه وإيه يسعده، وبعدين كان المفروض ما اصبرش؟ ولا المفروض اني اقول لك اهتم بيّ، خليك معاي؟ ما ينفعش كل ما تيجي لي تنزل تجري بعد ساعتين عشان مراتك تعبانة أو الولاد تعبانين، كل مرة نفس السبب ونفس العذر وبتصدق لأنك عايز تصدق.

- أنا معترف اني غلطان، وكل حاجة ممكن تتصلح، بيئاً حب كبير يا مريم يستاهل انك تديني فرصة ثانية وثالثة وعاشرة.

- تصبح على خير.

دخلت غرفة النوم وتركته بعقل مشئت التفكير وقلب ممزق من حديثها، ماذا تعني بأنها لن تفي بالوعد؟ ماذا تقصد؟ أفاقت مشاعره من غفلتها وتساءل في ألم:

إلى هذا الحد نسيئها؟ إن نسيئك حبيبتي، فقد نسيئ نفسي، أنتِ أنا، ألا تعلمين؟ كيف لا تُصدِّقين؟ إن رأيتِ ما مضى- من أيام النسيان فكم تبلغ؟ بضعة أشهر؟! هلَّ يُعقل أن تتغلب شهور النسيان على عُمرٍ من الحبِّ والحنان؟ ما اعتدتكِ قاسية إلى هذا الحد! من أين جئتِ بهذه القسوة؟ من بُعدي؟ من قسوتي؟ لم أقصد قسوة، لم أقصد بُعداً، ألسْتُ حبيبك؟ ألسْتُ طفلك؟ ألا تغفرين؟ إذًا فأنتِ لا تُدركين أنكِ رُوحِي التي لن أحيَا دونها. تركتيني لأفكاري، وتركتكِ تهدئين لكن لن أترككِ لتلك الأفكار أبداً. سأرُدُّكِ لي بِحُبِّي الذي اشتقتِ إليه.

الفصل السابع عشر

أشرق شمس يوم جديد، استيقظت مريم على صوت عُمر، كان بالغ الرقة، أعد لها إفطاراً في السرير ليذكرها بأيام الحب الأولى، فسألت إن كان سيذهب للعمل أم لا، أخبرها أن لديه اجتماعاً مهماً في الشركة سيعود بعده وسيأخذها لتناول الغداء في أي مكان تختاره، وعدها أن يرتب لأسبوع إجازة، وعدها أن يكون عُمر الذي أحبته وأحبها، وعد وأكثر من الوعود، ولم يكن له إلا رجاء واحد أن تنسى الفترة الماضية، لكنها ما زالت على جفائها، ما زالت تسمع ولا تجيب، شعر أن كلامه ليس كافياً، لكنها ستصدق بالتأكيد لأنه ليس مجرد كلام، انصرف إلى عمله على وعد بالعودة في الثالثة عصرًا، ليقضي معها يومًا مختلفًا.

انتهى الاجتماع وعُمر ما زال جالسًا في مكتبه يفكر كيف يُعيد علاقته بمريم إلى شكلها الطبيعي، كيف يثبت لها أنه يحبها بكل قلبه وكيانه، كيف يجعلها تتأكد أنها أخطأت في تقدير الموقف وبالغت في تضخيم الأخطاء.

بدأ يُقلب في جدول أعماله بحثًا عن موعد مناسب للسفر في الخارج أو الداخل، يبعد عنها عن كل الضغوط، يجدد حبها ويُسعل أشواقها لتستقيم الحياة من جديد.

بينما هو غارق في أفكاره العاطفية، علا رنين هاتفه، إنها سمر، لم يحب، وتذكر كلمات مريم عنها بالأمس، حقًا لقد كانت تتفنن في اختلاق الأسباب ليترك مريم ويعود إليها، كيف كان مسلوب الإرادة؟ كيف يترك سمر تحركه

هكذا؟ لماذا لم يفكر أن مريم مهما صمتت فستنفجر غضبًا في لحظة ما؟ هل هو يقينه أن مريم تعشقه وأنه مهما أخطأ فستغفر، ومهما فعل فستبقى؟

كان مُمسكًا بكل الخيوط في بداية زواجه من سمر، استطاع أن يوازن علاقته بهما وكان كل شيء جيدًا، في لحظةٍ ما فقد هذا التوازن، تلك اللحظة التي تَمَّت فيها مشاعر الأبوة بداخله، فكانت سمر تنتظر تلك اللحظة واستغلتها بذكاء، لكنه تصرف بحماقة تكاد تطيح بكل شيء.

عاد إلى مريم يحمل باقة زهور رائعة، وظل يناديهما، لم يُجِبْ أحد، صعد إلى غرفتها، لكنها ليست في الغرفة بل ليست في الفيلا كلها، لقد غادرت، جمعت كل ما يَخُصُّها ورحلت. أدرك أن حديثها بالأمس لم يكن مجرد كلام، لم يكن مجرد عتاب، بل كان قرارًا، قرارًا بالبعد، ألقى الزهور أرضًا، وانطلق بسيارته قاصدًا فيلا حافظ.

وصل إلى الفيلا، استقبلته والدته مريم وكان يبدو عليها القلق، سألتها عما حدث، فلم يُجِبْ، أخبرته أن مريم منذ أن جاءت وهي في غرفتها، لم تَرُدْ على أسئلتها القلقة، وهي حتى الآن لا تفهم شيئًا، وعليه أن يُطمئننها على ابنتها، استأذنها أن يدخل إليها ووعدتها أن يصلح كل شيء.

دخل إليها في غرفتها، كانت جالسة تبكي في فراشها، التفتت إليه وأشارت له بالجلوس، جلس إلى جانبها.

- ليه كل الدموع دي؟ ليه تسيبي البيت؟ مريم، أنا كنت معاك الصبح ما قلتش حاجة، بالعكس، إحنا اتفقنا نقضي- يوم مختلف وننفسح، مريم لازم نبدأ صفحة جديدة.

هزت رأسها وقالت في حزن:

- فعلاً دا الحل، نبدأ صفحة جديدة.

- طيب سُبُتي البيت ليه؟

- عشان أبدأ صفحة جديدة، ما بقاش ينفع نكمل مع بعض يا عُمر، أنا... عايزة اأطلق.

كانت الكلمة صادمة، زلزلت كيانه، أي خنجر هذا الذي طعنته به؟! كيف استطاعت أن تنطق تلك الكلمة؟!

- يعني خلاص ما بقيتيش بتحبيني؟! فجأة ممكن كل اللي بينا يتنسي- يا مريم؟! إزاي تفكري كذا؟!

- فكرت وقررت يا عمر، مش ممكن ارجع عن قراري.

وَقَفَّ مُنْفَعَلًا:

- يعني إيه قررت؟ دا مش قرارك لوحداك، إنتِ لَسَّا بتحبيني يا مريم، بتحبيني زي ما باحبك، ما حَدِّش فينا يقدر يعيش من غير الثاني، عشان انتِ مِنِّي وانا منك، إحنا مش زي أي اتنين متجوزين، اللي بيني وبينك مش جواز وبس ننهيه بكلمة، بيئًا عُمر عشناه يوم بيوم سوا وحبٌ عُمرِي ما حبيته ولا هاحبه لغيرك، الكلمة دي ما لهاش مكان في حياتنا.

- بكرة تهذا يا عمر وتعرف ان الطلاق هو الحل الوحيد.

- طلاق، طلاق، هي خلاص كلمة وما فيش غيرها على لسانك؟! أنا مش هاطلق مهما حصل، وهتفضلِي مراقي لآخر يوم في عمري.

خَرَجَ قاذفًا باب الغرفة وغادر منفعلاً، ووالدة مريم تناديه مستفسرة عن سبب المشكلة، لم يُجِبْها وخرج مُسرَّعًا.

عاد عمر إلى فيلا مريم، جلس يتخيلها في كل مكان، يتذكر ذكرياتهما في كل ركن، لا يصدق أن مريم تريد الطلاق، لا يصدق أن المشكلة بينهما تأزمت إلى هذه الدرجة، غرق في أفكاره ما بين عتاب لنفسه وشوق إليها وخوف عليها، مشاعر كثيرة لا توصف بكلمات تكاد تُوقف قلبه، انتبه إلى رنين هاتفه، ربما تكون هي، أمسك بالهاتف على أمل أن تكون مريم قد أفاقت من عنادها، لكن الاتصال كان من والده، اضطر للرد على والده الذي كان غاضبًا ومنفعلًا: كيف لا يرد عُمر على اتصال زوجته سمر؟ كيف لا يسأل عن طفليه؟ أغلق مراد الهاتف بعد أن أسمع عُمر وَصْلَة من التوبيخ دون أن يسمع كلمة واحدة من ابنه.

ها هي لم تكتفِ بإفساد علاقته بمريم، تريد أيضًا إفساد علاقته بوالده، إدًا فلا بد من وقفة. ذهب إلى بيته الثاني، استقبلته لائمة غاضبة غائرة أن تكون مريم سبب عدم رَدِّه عليها، فسألها:

- كل تفاصيل حياتنا لازم تكون عند بابا؟

- إنت مش راضي ترد عليّ.

فردَّ بانفعال شديد:

- أنا حر، ما تتصليش ببابا وماما تشتكي لو عايزة نكمل مع بعض.

- أنا غلطت عشان قلقت عليك؟

- أنا مش طفل صغير تخافي عليه، أنا مش عايز اتصالات ولا مكالمات ولا عايز اشوف حد خالص لمدة شهر، كل طلباتك هتيجي لك لغاية عندك، سيبيني اتنفس شوية.

- آه كدا فهمت، هي السبب، طبعًا هتروح تقعد عندها.

- ما تجيبيش سيرة مريم نهاي، إنتِ اتجوزتيني وهي مراتي وهي في حياتي، ما تجيبيش سيرتها خالص.

انصرف منفعلًا.

كان انفعاله مفاجئًا لها، لأول مرة منذ زواجهما يتحدث معها بهذا الانفعال، ودار في عقلها معركة أفكار متطاحنة:

لا بد أن هناك سرًّا في الأمر، لماذا كل هذا الانفعال والغضب؟ وما شهر العزلة هذا الذي يتحدث عنه؟ لا بد أن الشقراء وراء ما يحدث، ماذا قالت له عني كي لا يطبق رؤيتي أو سماع صوتي؟ لأول مرة لم يسأل عن التوأم، لم يَرَهُمَا بَعْدَ أَنْ كان لا يكف عن السؤال عنهما حتى في أثناء ساعات عمله. كيف استطاعت أن تُبعده عن طفليه؟ أي حيلة تلك التي تَقْلِبُ أَبَا على طفليه؟

الأفكار تتسارع، الأسئلة تتكاثر، والإجابات تائهة، لا بد أن تعرف الحقيقة. لا بد أن تفهم ما يدور حولها كي تتمكن من الحفاظ على زوجها.

مَرَّتْ عشرة أيام وعُمر مقيم في فيلا مريم، لا يخرج إلا للعمل. أغلقت مريم أبواب التواصل بينهما، لم تَرُدَّ على أي اتصال منه، ولم يَعدْ أمامه إلا أن يطلب وساطة أسرتها والدكتور عبد الرحيم.

عَلِمَ مراد بالأزمة التي بَيْنَ عُمر ومريم من الدكتور عبد الرحيم واستغرب أنه يرى عُمر يومياً في الشركة لكنه لم يُخبره بأي شيء، تَحَدَّثَ مراد مع ابنه ووعده أن يبذل كل جهده في حل الأزمة والتأثير على مريم، بينما عاد يوصيه بزوجته سمر وطفليه، طلب مراد من ابنه ألا يخلط الأمور.

عَلِمَتْ سمر بما يحدث بين عُمر ومريم من والده عُمر، عرِفَتْ أن ثورته وغضبه واعتزاله الناس بسبب إصرار مريم على الطلاق، تناقضت مشاعرها بين الفرحه والقلق، كثيرًا ما انتظرتْ هذه اللحظة، كثيرًا ما انتظرت يوم أن يُصبح عمر لها وحدها، لقد كانت تراهن على الوقت، وها هو الرهان يتحقق، فمريم لم تستطع أنْ تحتمل وجود زوجة أخرى في حياة عمر طويلًا، لكن ما زالت سمر قلقة سألت نفسها: هل سَتُخَيِّرُهُ مريم إمَّا أن يطلقها أو يطلقني؟ إنْ حدث هذا ترى ماذا يفعل عُمر؟ وَمَنْ سيختار: الحُب أم العائلة؟

ستظل قلقة حائرة إلى أن يتحقق الحلم وتخرج الشقراء من حياة عُمر لتستقيم حياتها معه.

فاجأها عُمر وجاء إليها، كان يبدو عليه الصراغ النفسي- الذي يعيشه، يبدو في حُزن عينيهِ، وملامحه التي لا تُخفي ضيقه، لكنه اشتاق إلى طفليه، جاء إليهما رغم أنه سابقًا قد أخبرها أنه لن يأتي قبل شهر، لكنه اشتاق وجاء بعد خمسة عشر- يومًا، هذا طمأنها بعض الشيء، إنها هي الأقوى، هي الحاضر والمستقبل بينما مريم هي الماضي، ماضٍ راسخ في أعماقه، اقتلعه سيكون غنيقًا ومؤلمًا، لِكِنْ يومًا ما سينسى، فقط يتم الطلاق وسينسى البُعد يقتل الحب ويمحو الذكريات، إلى أن يختفي الماضي فلا يبقى شيء.

حاولت ياسمين التأثير على مريم، حاولت أن تقنعها بالتراجع عن قرار الطلاق، حَقًّا كانت ياسمين مقتنعة أن مريم لن تحتمل هذا القرار، مهما كان ألمها من عدم اهتمامه بها فلن يكون مثل ألمها بعد أن يخرج من حياتها وهي تعلم أنه كل حياتها، كذلك أمجد حاول مناقشتها كثيرًا، حتى والدتها كانت تنحاز إلى عُمر وترفض إصرارها على الطلاق، الجميع كان يرى أن تراجع عن هذا القرار، لكنها ما زالت متمسكة بقرارها. أصبحت تقضي-

يومها في العمل فقط، وما تبقي من وقت تقضيه في غرفتها، عزلتها وصمتها
كانا مقلقين للجميع، ماذا لو تم الطلاق؟ كيف ستكون حياتها بعد هذه
الخطوة؟

دعا الدكتور عبد الرحيم مريم لزيارته في منزله، رفضت في البداية ولكن
أمام إلحاح العم وافقت، لقد كان له مكانة خاصة في قلبها كما أنه أيضًا كان
يُحبها بشدة.

ذهبت إليه وجلست إلى جواره وطلبت منه ألا يُحدّثها عن عُمر ولا عن
قرار الطلاق، فقال مازحًا:

- عمر إيه بس؟ إحنا نتكلم عن مريم بنتي.
- عني؟ ما عنديش حاجة اقولها عني؟
- بتقضي وقتك ازاي؟
- عادي، البيت والعيادة، ممكن اقرا شوية، باخد مهدئات، أنام كثير.
- وبعدين؟
- بعدين إيه؟ هي دي حياتي، فاضية.
- هتمليها ازاي؟
- بافكر اسافر، أنا عايزة اسيب مصر خالص، كل حاجة هنا بتفكرني بـ...
- عمر؟ طالما فاكراه تبقي لسا بتحبيه، وهو كمان بيحبك يا مريم.
- صمتت وانتبه الاثنان إلى جرس الباب، ذهب العم ليفتح الباب، ودخل
الزائر، إنه عُمر، رَحَّب العم به وقال له مازحًا:

- اتفضل اقعد، إحنا لسا كنا في سيرتك.
- جلس عُمر وعيناه معلقتان عليها فقال:
- وحشتيني.
- إزيك يا عمر.
- فقال العم:
- أنا كدا بقيت عزول، أسيبكم مع بعض شوية.
- أسرع عُمر بالجلوس إلى جوارها وأمسك بيدها.
- أنا تعبت ومش عارف اعيش من غيرك، أنا باحبك.
- وانا باحبك، وعشان باحبك باقول لك ما ينفعش نكمل، ما تصعبهاش يا عمر أكثر ما هي صعبة.
- إحنا لازم نكمل حياتنا سواء، أنا موافق على كل شروطك.
- أنا ما ليش أي طلبات غير الطلاق.
- صَمَتَ قليلاً ثم قال:
- خلاص يا مريم، أنا هاطلق سمر.
- إنت بتقول ايه؟! إنت لازم تكمل مع سمر، هي بتحبك وهي أم أولادك، مازن ونور لازم يتربوا بينكم، أنا الي لازم اخرج من حياتكم.
- إنت عارفة يعني إيه طلاق؟ يعني إيه تبقي ست غريبة عني؟

- أوعدك اني عمري ما ارتبط بغيرك ولا اكون لغيرك، لأني بكل بساطة
مش اعرف احب غيرك، لكن كمان انا مش اقدر اكمل معاك.

- ليه؟! أنا باحبك وانتِ بتحبيني، إيه اللي يخلينا ما نكملش حياتنا مع
بعض؟ ليه نبعد ونموت من البعد واحنا بإيدينا نعيش؟

- ما بقيتش قادرة اقبل إن غيري ليها نفس حقوقي فيك، أنا هابعد حُب
ليك وخوف عليك، مش ينفج تفضل طول الوقت بتحاول ترضيني وترضيها،
وفي الآخر احنا الاتنين مش نرضى. خلينا نجرب البعد، ولادك كفاية قوي
عشان تنساني، صدقني هتتعب شوية في الأول لكن هتنساني.

-وانتِ؟

- أنا مش عايزة انساك، لو انساك هافتكر ايه؟

خرجت مسرعة وتركته حائرًا لا يعرف ماذا يفعل، عاد العم على صوت
إغلاق الباب وسأل عُمر هل استطاع أن يثنيها عن قرارها، هَزَّ عُمر رأسه
بالنفي، جلس العم إلى جواره حزينًا لأن حُطَّتْه في تقريب وجهات النظر
فشلت، حَزِنَ على قصة حُب رائعة تُحاصرهما الظروف وتخنقها، حَزِنَ على
زواج يُحتضر وقلوب تتألم ولا أحد يعرف أين الخلاص.

الفصل الثامن عشر

ذهب مراد والد عمر لزيارة مريم وجلس معها وظلَّ يتحدث عن حُبِّ عمر لها ورفضه للطلاق، وعدها بأنَّ عمر لن يُقَصِّرَ— في حقها أبداً، تَحَدَّث كثيراً ومريم تستمع في إنصات، ولمَّا أتعبه الكلام قال:

- ها يا بنتي، قلتِ إيه؟

- أنا باشكر حضرتك على اهتمامك، وانك نبهتني لحاجة مهمة جداً.

- إيه؟

- حضرتك الوحيد اللي تقدر تقنع عمر انه يطلقني، زي ما أقنعتة يتجوز سمر اقنعه يطلقني.

- إنتِ شايلة قوي مني يا مريم.

- لا والله يا عمي، أنا باحسدك، حضرتك أكثر واحد فينا مرتاح.

- مش فاهم.

- عقلك دايماً صوته أعلى، عقلك دايماً هو الأقوى، وانا في قرار الطلاق باحاول اقلدك.

يُتس مراد من الجدل معها وانصرف وأبلغ عُمر أن قرار مريم لا رجعة فيه، وعليه أن يُحافظ على كرامته، فلا داعي لتحمل أكثر من ذلك، هي مَنْ ستندم على هذا القرار.

.....

ذهب عمر إليها من جديد يحاول أن يسترضيها لكنها كانت أكثر عنادًا، أكثر عصبية، من شدة انفعالها هددت بأن تلجأ إلى القضاء لإنهاء الأمر، فصفعها على وجهها بقسوة وانصرف.

لأول مرة تمتد يده عليها بأذى، كان رد فعله صادمًا لها وغير متوقع، وكذلك كان صادمًا أيضًا له، لا يدري كيف فعل ذلك، لكن هي مَنْ دفعته إلى ذلك بعنادها وإصرارها على تعذيب قلبها وقلبه، عاد إلى فيلا حُبّه من جديد وهو في غاية الحزن، لَمْ نفسه كثيرًا، كان عليه أن يضبط أعصابه أكثر من ذلك، لقد أخطأ من جديد، وأصبح الأمر أكثر تعقيدًا، حاول الاتصال بها لكنها لم تَرُد، حاول الاتصال وهو يعلم جيدًا أنها لن ترد، فماذا يفعل؟ سَجَل رسالة صوتية يعتذر إليها بشدة.

(أنا آسف، أنا مش عارف عملت كذا ازاي، ما فيش حاجة تبرر اللي عملته، كلمة الطلاق دي بتجنني، كأنك عايزة تاخدي روحي وتقولِي لي اتفضل عيش، طب اعيش ازاي؟)

ثم اتصل بالدكتور عبد الرحيم وحكى له ما حدث وأخبره أنه سيرسل إليه رسالة اعتذار صوتية سَجَلها لها وطلب منه أن يُرسلها إليها من هاتفه كي تسمعها.

أرسل الدكتور عبد الرحيم الرسالة، سمعت مريم الرسالة واتصلت بالعم العزيز، طلبت منه أن يأتي إليها، لأنها تحتاج إليه كثيرًا، جاءها مُسرِعًا وكيف يتأخر على ابنته الغالية؟ كعادتها كانت في غرفتها، لا تريد رؤية أحد، طرق باب غرفتها، فصاحت بانفعال:

- يا ماما، أنا عايزة اكون لوحدي، أرجوك.

فَرَدَّ الدكتور:

- ينفع ادخل ولا إيه؟

هرولت مسرعة إلى الباب، وما إن رآته حتى ارقمت في حضنه وظلت تبكي طويلًا إلى أن أرهاقها البكاء، فقال العم:

- تعالي نقعد ونتكلم.

جلسا معًا ومسحت دموعها، فقال العم:

- ما تزعليش من عمر، والله هو كمان حالته صعبة.

- مش زعلانة منه، أنا كمان ما كانش ينفع اهدده بالطريقة دي، بس انا تعبانة، تعبانة قوي، أنا نفسي اموت عشان ارتاح.

- ما احبش اسمع منك الكلام دا، مريم انتِ أقوى من كدا.

قضى معها العم بعض الوقت ليخفف عنها ما تعانيه ثم انصرف، وذهب إلى عمر، كان عمر متلهفًا لأن يعرف ما رد فعلها وماذا قالت له، فقال العم:

- أنا رُحْتُ لها يا عمر، هي مش زعلانة منك ومسامحة قوي وما كانتش منتظرة منك رسايل اعتذار لكن هي تعبانة قوي نفسياً وكل تفكيرها ان الطلاق هو اللي هيرفع كل الضغوط دي عنها، أنا هاقول لك حاجة وما تزعلش مني، طلقها، الطلاق مش النهاية، أنا متأكد إنكم هترجعوا تاني لبعض، لكن انا خايف انها ما تتحملش كل الضغوط دي، خايف تفكر في الانتحار.

- لا مش ممكن مريم تعمل كدا.

- أنا باكلمك كدكتور دلوقتي، ومتأكد ان حياتها تهلك زي ما تهمني واكثر.

ألقى الطبيب المسؤولية الثقيلة على قلب أرهقته الظروف، انصرف الدكتور عبد الرحيم بعد أن حَمَلَه مسؤولية الحفاظ على حياتها، كانت حياتها متوقفة على قربه منها وحبه لها فأصبحت حياتها في كلمة تُنهي ارتباطه بها، غريبة الأقدار، وسأل قلبه في حيرة:

هل وصلنا إلى النهاية؟ هل أغلقت كل أبواب العودة؟ هل انقطعت كل جسور التفاهم بيننا ولم يَبْقَ إلا إسْدال الستار على حكايتنا؟ أي قسوة تلك؟ ومن أين له بالقوة التي تُعينه على كل هذا الألم؟

يبدو أن أيام السعادة انقضت وما تبقى له إلا الجراح.

ذهب عمر لزيارتها في منزل العائلة، كان لا يعلم هل ستوافق على مقابلته أم لا، جلس مرتبكاً ومنتظراً، فجاءته والدتها:

- هي مش تقدر تنزل، تعبانة شوية، اطلع لها يا عمر.

تَوَجَّه إلى غرفتها مسرعاً، كانت تبدو شاحبة الوجه، فجلس إلى جوارها.

- فيه إيه؟ إنتِ حاسة بإيه؟
- لا ما تقلقش، شوية تعب ويروحوا.
- طيب اكلم عمي عبد الرحيم؟
- لسا ماشي من عندي.
- إيه كل الأدوية دي؟
- مسكنات على مهدئات على أدوية الاكتئاب، ما علّش انا فعلاً دايرة ومش قادرة اقوم من السرير.

- سلامتك يا حبيبتي، مريم، أنا آسف على كل لحظة وجع وكل لحظة ألم سببتها لك، آسف اني في لحظة غياب مديت إيدي عليك، آسف اني ما عرفتش اسعدك، ولازم اشكرك كثير قوي على إنك أحلى حاجة في حياتي، أنا هديك حريتك عشان باحبك ومش هاتحمل ان ارتباطك بي يكون سبب التعب دا كله، لكن انا هافضل كل يوم مستني نرجع لبعض. اللي بينا مش كلمة، إنتِ جُؤًا قلبي وروحي لآخر يوم في عمري.

بعد أيام قليلة نفّذ عمر وعده، تم الطلاق كما أرادت، تحقق أسوأ ما أرادت وأصعب ما اختارت.

هل أصبحت حُرّة فعلاً؟ هل تحررت من حُب أرهقها وأسعدها وعذبها؟ لا تعلم، كل ما تعلمه جيداً أن الألم ما زال يعتصرها، والسعادة غائبة، وربما لن تعود أبداً، كيف تسعد دونه وهو لها كل ما تتمنى من هذا العالم؟

رغم كل هذا الألم ما زالت ترى أن هذا هو أفضل الحلول الممكنة، وعليها أن تواجه الحياة دونه، عليها أن تتعلم كيف تحبه في صمت، تحبه في البعد، تحبه دون أن تنتظر لقاءً أو حتى دون أن تتمنى أن يذكرها، فهي لا تتمنى أن يتذكرها، وما الذكرى إلا ألم متجدد وجرح لا يلتئم وهي تخشى— عليه ألم الذكرى وشقاء الاشتياق، أعانه الله على النسيان وأعانها الله على حُبِّ بلا أمل، حَقًّا إنه أمر بالغ الصعوبة، لكنه هو التحدي الذي يواجهها. فهل تستطيع؟

لم يكن هناك أسعد من سمر بطلاق مريم، أخيرًا تحقق الحلم البعيد، أخيرًا خرجت الشقراء من حياتها، أخيرًا هي فقط زوجته، لكن مضى— أسبوع على الطلاق ولم يأتِ إليها، فما زال معتكفًا هناك في فيلا الأطلال، فكَّرَتْ أن تحدثه، أن تحيطه فورًا بحبها، فكرت ثم تراجعت، كلا بل ستنتظر، لا بد أن القرار صعب عليه، حُبُّها كالإدمان لا بد أن يكون له أعراض قوية، لكنها بالتأكيد فترة ستمضي— وسيعود إلى هنا حيث زوجته التي تحبه وطفلاه. عليها ببعض الصبر، سيعود إليها دون أن تسعى لعودته، هو مَنْ سيطلب قربها وحبها لينسى— الماضي، كل شيء سيمضي— ببساطة لا سيما وقد خرجت الشقراء من الصورة، كل يوم يَمُرُّ سيجعلها ماضيًا، كل يوم يَمُرُّ سيحوِّلها من ذكرى مؤلمة إلى ذكرى باهتة صامتة ثم تتوارى بين آلاف الذكريات والحكايات اليومية، يَوْمًا ما لن يتذكرها إلا إذا رآها مصادفة، عليها فقط أن تمنحه فترة نقاهة كافية، هو فقط مَنْ يحدد كم من الوقت يكفي ليُشفَى من حبها، لكنها تثق أنه سيُشفى.

مضى— أسبوع وعُمر لا يذهب إلى عمله ولا يقابل أحدًا ولا يرد على مكالمات أحد حتى والده، مما أزعج الجميع، ذهب إليه صديقه عليّ الشرفاوي، وتحدَّث معه واستمع إليه كثيرًا، وأشفق عليه كثيرًا، حَقًّا لم يَرِ عليّ حُبًّا أكبر من هذا، قضى— معه وقتًا طويلًا ثم اتفق معه أن يذهب غدًا

إلى عمله، العمل سيساعده كثيرًا على تجاوز المحنة، نَفَذَ عُمر وعده وذهب إلى عمله، استدعاه والده فور أن عَلِمَ بقدومه، وقد أسعده خبر عودته إلى العمل كثيرًا.

دخل عمر إلى والده، فتبدلت فرحة مراد إلى ضيق بالغ وقال باستياء:

- إيه اللي انت عامله في نفسك دا؟ إيه الاكتئاب والبؤس اللي انت فيه؟
إنت بقى لك قَدَّ إيه ما حلقتش يا ابني؟

- حضرتك عايزني في حاجة في الشغل؟

- عمر، إنت مش أول واحد يطلق، ما فيش ست تستاهل اللي انت عامله في روحك دا.

- حضرتك قررت اني اتجوز عشان اخلف، سمعت كلامك، اخترت العروسة سمعت كلامك، كمان هتحدد لي افرح إمتي وازعل إمتي واحلق دقني إمتي؟ بابا سَبْنِي اتنفس شوية أرجوك، وبعدين انا فعلاً مش أول واحد يطلق، بس مريم مش أي ست، هي مش بس تستاهل اني ازعل عمري كله اني خسرتها، هي أكيد كانت تستاهل واحد احسن مني. واحد يعرف يحبها أكثر مني، ويا ريت ما نتكلمش في الموضوع دا.

ترك عُمر مكتب والده وعاد إلى مكتبه، حاول أن يتناسى الحوار الذي دار مع والده، وانغمس في العمل.

وبعد العمل أخذه صديقه عليّ لقضاء بعض الوقت معًا في أي مكان على النيل، أراد صديقه عليّ أن يكون إلى جواره، فهو يَمُرُّ بأزمة نفسية عاصفة ولا يجب أن يتركه لنفسه.

تتوالى الأيام وبدأ عُمر ينتظم في عمله، لقد وجد السلوان في العمل، وبدأت أُبُوَّتَه تستفيق وحنينه إلى طفليه يغلبه، فعاد إلى بيته الآخر حيث سمر والطفلان.

كانت سعادة سمر بعودته إليها بالغة، لقد انتهت فترة النقاهة، لقد عاد إلى طفليه وذبلت أشواقه إلى مريم، لقد تحرر من أسطورة العشق المزعوم وأصبح طفلاه هما كل حياته، الآن فقط ستبدأ حياتها مع عُمر، الآن فقط ستبدأ أيام السعادة التي انتظرتها طويلاً، الآن لم يَعد بينها وبينه أي حواجز، سيشعر بِحُبِّها الصادق ويتذوق حنانها المتدفق، فيبادلها المشاعر، سيعرف معنى الحب الحقيقي، سيكتفي بالعائلة عن كل شيء، عائلته هي حاضره ومستقبله، لقد عاد إليها عُمر وامتلك السعادة.

الفصل التاسع عشر

لا تعلم ما معنى الأيام، ماذا تعني الأيام ونحن نقضيها بين ألم وحرمان، شوق وأحزان؟ هل نحيا لنتألم؟

كُلُّها مضى- يوم اشتاقت إليه أكثر، كثيرًا ما تَمَنَّت لو تلقاه مصادفة في أي مكان، ولكن ما فائدة اللقاء إن كان سيبعده فراق؟ هل تروي دقائق اللقاء عطش الاشتياق؟

مرَّ على الطلاق ستة أشهر، أشهر مضت كأنها سنوات، لا يُهَوِّن عليها إلا الذكريات، لو تعلم أن أيامهما معًا ستمضي- سريعًا كانت سجلت كل لحظة حلوة عاشتها معه صوتًا وصورة. كانت تظن أن سعادتها ستدوم طول العمر ونسيت أن أيام السعادة دائمًا قصيرة.

لكن أيامها معه ستبقى حية في قلبها وعقلها، لن تنساها إلى أن تنتهي بها رحلة الأيام. كثيرًا ما تساءلت: كيف حاله؟ هل مَنَّ الله عليه بالنسيان؟ أم إنه ما زال يتألم مثلها؟ يقولون إن الرجال يَنْسَوْنَ بسهولة، قلوبهم غير قلوب النساء، يتحكمون في مشاعرهم سريعًا، يُحِبُّون سريعًا وَيَنْسَوْنَ سريعًا، لكن هل عُمر مثل باقي الرجال؟ كَلَّا، إنه غيرهم جميعًا، ليس في هذا العالم قلب في حنان عمر، لو كان كل الرجال مثله، لما عانت امرأة قط، لكنها عانت في حُبِّه، نعم عانت في حُبِّه لكن لم يكن هو السبب، الظروف كانت أقوى منهما، ما زالت تُقَدِّم له الأعذار لأنها ما زالت تُحِبُّه، يقولون في الأمثال

(البعيد عن العين، بعيد عن القلب) هل بعدت عن قلبه حَقًّا؟ ربما يكون نسيها، وإن كان ما زال يذكُّرها، يَوْمًا ما سينساها، لديه في حياته ما يُنسيه الماضي، تأخذها الأفكار بين الماضي والحاضر، تبتسم بذكرى حلوة مضت وتبكي من شوق يعصف بها، من حنين فوق احتمالها، من حُبٍّ يزداد في البعد رَغْمًا عنها. حبه هو قدرها الذي لا مفر منه.

.....

شهور مضت وصورتها أمام عينيه وصوتها في أذنيه، الحنين يلاحقه، إن هرب من حديث القلب عنها، تُذكِّره الأماكن بأيامهما معًا، كل طريق مرًّا فيه معًا ينطق باسمها، يُذكِّره بها، يسأله عنها: أين هي؟

لم يحاول أن يقابلها، لم يحاول أن يتواصل معها ولو برسائل على الهاتف، كان يخشى تجاھلها له، يخشى أن تزيد آلامه برد فعل قاسٍ، حاول أن يحترم قرارها الصعب، ورغم بعده فما زال طامعًا أن تتذكره في كل ثانية كما يتذكرها، يدعو الله أن ينزع منها النسيان، لأنه ما زال ينتظر أن يجمعهما الغد، وسيظل في الانتظار، وهو على يقين أن هناك غدًا سيجمعهما، لن تستمر الحياة هكذا، مهما كانت تراهن على صبرها فستخسر - الرهان، الأشواق يَوْمًا ما ستغلبها، فما بينهما لا ينقصه بُعد ولا يهزمه هجر.

كان يحاول أن يطمئن عليها من الدكتور عبد الرحيم وكذلك من ياسمين وأمجد، ما زالت علاقته قوية بهم، لقد اتفقوا ألا تتأثر علاقتهم بما حدث بينه وبين مريم.

لم يَقْصُ عليهم معاناته مع الفراق، فلا فائدة من وصف ذلك للآخرين، مهما وصف فلن يصف شيئاً، كان يكتفي بأن يعرف أنها بخير، عرف أنها أصبحت أكثر اهتماماً بالعمل وعادت إلى هوايتها القديمة وهي قراءة الروايات، أصبح يومها بين العمل والقراءة.

دائماً يسأل عن أحوالها عامة لكن لا يسأل عن حُبِّها له، هل تذكُّره؟ هل تشاق إليه؟ هل ستعود إليه؟ لن يسأل هذه الأسئلة إلا لها، هي فقط من ستُجيبه يوم أن يراها، ولا يظن أنه سيحتاج إلى أن يسأل، ستجيب عيناها عن كل ما يريد دون كلمة واحدة، وستشكو عيونها كثيراً منها، عيونها تعشقه ولن تبوح بشكواها إلا بين يديه، ستشكو حنينها وشوقها إليه وسيمحو ألم الفراق ويطفى نار الأشواق بكلمة واحدة (باحبك)، نعم يُحبُّها وسيظل يُحبُّها، حُبُّها سيظل أقوى من الفراق مهما طال.

لم تكن الشهور الماضية سعيدة على سمر كما كانت تظن، تَغَيَّرَ عُمر كثيراً، كُلُّما مرَّ يوم بعد عنها أكثر، العلاقة بينهما أصبحت غريبة، لقد كان يعتني بها أكثر في وجود مريم، كان يهتم بالوقت الذي يقضيه معهم، كان يعاملها برقة ولطف بينما الآن يُعاملها بجفاء بالغ لم تعتدْه من قبل، كلما حاولتُ أن تتقرب منه خطوة تراجع خطوات. لقد تَغَيَّرَ حَقًّا، لم يُعدْ عُمر الذي أحبته، ورغم أنه أصبح لها وحدها، لكنها تراه أقل بكثير، دائماً منشغل عنها، منشغل بالعمل أو بالخروج مع أصدقائه، في النهاية يقضي—أغلب أوقاته بعيداً عنهم، وما يقضيه من وقت في البيت يكون معهم بجسده وليس بعقله ولا قلبه، دائماً سارح، صامت، منعزل في مكتبه، غارق في أفكاره، قَلَّما يبتسم كأنها فقد كل أسباب السعادة يوم أن فقدوها، هل كانت هي سِرُّ سعادته؟ هل كانت هي ابتسامته؟ حَقًّا مريم هي سِرُّ سعادته، كيف

يُسعدُها وهو تعيس؟ كيف يُحبُّها وهو لا يملك قلبه؟ خابت ظنونها واتضح لها أنها لا تعرفه، ولم تفهم يومًا أن ما بينه وبينها ليس مجرد حُب، ارتباطه بها أكبر من الزواج والطلاق، لا ينقص حُبُّه لها إن غادرت حياته لأنها تسكن في قلبه وروحه، أينما رحلت ستبقى حاضرة قريبة منه، وأينما رحل يصطحب عشقها، لم تُنسه العائلة حُبَّ العُمر، فهي له كل شيء. لا بد من المواجهة، عليها أن تواجه نفسها أولاً وتعترف أن المشاعر لا تُعترف بالحسابات المنطقية، المنطق أن ينسى. مَنْ تركته وأصرت على البُعد، المنطق أن ينقص بُعدها مشاعره بالتدريج إلى أن تختفي، لكنه كلما زاد بُعدها زاد اشتياقه إليها، زاد يقينه أنها الحياة كاملة، الحقيقة أنه قبل زواجها من عُمر وبعد زواجها منه يبقى ما بينهما حُبٌّ من طرف واحد، بعد الزواج تلامست الأجساد لكن لم تتلامس القلوب ولم تتقابل الأرواح. ما زالت زوجته فقط لكنها ليست حبيبته ويبدو أنها لن تكون حبيبته.

الأفكار تتصارع بداخلها وأصبحت لا تعرف ماذا تفعل، هل تطلب الطلاق وتُنهي هذه الحيرة؟ إلى متى تنتظر؟ لم يُحبّها سابقًا ولم يُحبّها الآن ويبدو أنه لن يُحبّها، عليها أن تواجهه، عليها أن تسمع منه ويسمع منها، لا بد من المواجهة، دخلت غرفة مكتبه، كان أمامه أوراق عديدة لكنه لم يكن يركز في تلك الأوراق، بل كان سارحًا مع الموسيقى المعروضة على شاشة التلفاز، مُغمض عينيه مُحلِّقًا مع العندليب وهو يغني (حاول تفتكرني)، وقفت ثواني وهو لا يشعر بها ولا ينتبه أنها في الغرفة، ثم علا صوته يندندن مع العندليب (لو مرّيت بطريق مشينا مرة فيه وعديت بمكان كان لينا ذكرى فيه، ابقى افتكركني، حاول تفتكرني).

أوقفت الأغنية، ففتح عينيه وعاد من عالم الذكريات، فقالت بضيق:

- أكيد فاكراك، وبعدين هي مش بعيد، رُخ لها.

فقال منزعجًا:

- فيه إيه يا سمر؟

- تعبت يا ابن خالي، تعبت، أنا خلاص مش قادرة اكمل، ارجع لها، إنت فعلاً ما كانش ينفع تتجوز غيرها، أنا دخلت في حياتك غلط.

- أنا مش فاهم انتِ عايزة إيه، إيه المشكلة اني اسمع أغنية؟

- الحكاية مش أغنية، الحكاية حبك ليها، عمر انت مش عارف تعيش من غيرها. ولا انا عارفة اكمل مع إنسان مش حاسس بيّ، كنت فاكدة انها لما تبعد وتخرج من حياتك دي فرصتي انك تحس بحبي ليك، بس الحقيقة انت مش هتحس ولا هتحب حد غيرها.

- قولي لي أنا قصّرت معاك في إيه؟

- قصّرت معاي في إيه؟ قل لي باقي لي منك إيه؟

إنت بتحبها، كفاية إنك بتحب واحدة طلقتها ومش شايف ولا حاسس بمراتك اللي عايشة معاك.

- سمر، متهياً لي نأجل المناقشة لما تهدي.

- أنا هاسألك سؤال واحد، إنت ممكن تنساها؟ قل لي هانساها بس محتاج وقت، وانا هاستنى وهاتحمل، بس انت ممكن تنساها؟

- مش بإيدي، مش بالريموت كنترول، دي مشاعر وإحساس عُمر كامل، مريم مش بنت اتعرفت عليها فترة واتجوزتها فترة وانفصلنا، أنا كنت طفل وهي قدامي، كبرنا مع بعض، كل يوم في عمري هي موجودة فيه، أنا مش عارف ينفع اقول لك كلام زي دا ولا لأ. أرجوكِ نقفل النقاش.

- فعلاً، لازم نقفل النقاش، ما فيش كلام ثاني يتقال.

.....

عادت مريم من عيادتها مرهقة، فإذا بالأضواء مغلقة في الفيلا، وهناك سكون تام، أضاءت مريم الأنوار، فكانت المفاجأة، الجميع ينتظرها ويغني لها عيد ميلاد سعيد، الجميع ينتظرها بابتسامة رائعة، وأعدوا لها حفلاً رائعاً، روعته في بساطته وأنه ليس فيه إلا المقربون ووالدتها، أمجد وزوجته وياسمين وزوجها وابنتها، الدكتور عبد الرحيم، هم أقرب الناس إليها، الحفل كان جميلاً لا ينقصه إلا شخص واحد لأول مرة لا يكون جوارها في هذه المناسبة لكن عليها أن تعتاد غيابه، احتفوا بها وقدموا لها الهدايا، حقاً أسعدوها وذكروها بمناسبة لم تذكرها، حقاً لم تنتبه ولم تهتم بالتاريخ، قضت معهم ليلة جميلة وشكرت الجميع على كل هذا الاهتمام والحب الذي غمروها به، انصرف الجميع وذهبت إلى غرفتها لتستريح، كانت في الغرفة مفاجأة أخرى، باقة زهور رائعة، ليس عليها إهداء، وعلبة مجوهرات صغيرة فيها خاتم رائع من الألماس، فذهبت إلى غرفة والدتها تسألها:

- ماما، الورد دا مين بعته؟

- والله بتاع الورد ما قالش.

- طيب علبة المجوهرات؟

- والله اللي جابها ما قالش.

- طيب اتصل بالمحل افهم من مين؟

- اتصلت والجواهرجي مش عارف.

- طب مين اللي جابها يا ماما لغاية هنا؟

- والله واحد ما اعرفوش، وقال لي دي للدكتورة مريم، بس انا متهايا لي
إنْت عارفة كويس يا مريم الهدايا دي مِن مين.

عادت مريم إلى غرفتها بابتسامة عريضة على وجهها، نعم هي تعرف
مَن صاحب الهدايا، وَمَن يكون غير عمر؟ ما زال يَدُكِّر هذا اليوم الذي
نَسِيَتْهُ، ما زال يحبها كما تحبه، ما زال ما بينهما لا ينقطع رغم أيام البُعد
والفراق، ماذا عليها أن تفعل الآن؟ ألا يجب أن تشكره بعد هذه الهدية
باهظة الثمن؟ ستكتب رسالة نصية هذا يكفي، فكَرَّتْ قليلاً، ثم قالت
لنفسها (هذا لا يكفي)، عليها أن تشكره في اتصال هاتفي، أمسكت بهاتفها،
ثم تركته، فالوقت متأخر، لقد انتصف الليل، غالباً هو في البيت، ماذا تفعل؟
ظَلَّتْ نصف ساعة تفكر حائرة بين نعم ولا، لكن في النهاية اتصلت به، وكأنه
كان ينتظر الاتصال، رَدَّ بسرعة غريبة، كان يبدو أنه خارج المنزل، حوله
ضوضاء كبيرة، ارتبكت وصمتت وكأن الكلام تاه من شفيتها، فبدأ الحديث
قائلاً:

- كل سنة وانتِ طيبة يا حبيبتي.

لأول مرة تسمع صوته منذ شهور، كم تشتاق إليه، لم تفرح بالهدية قدر
سعادتها الآن وهي تسمع صوته، احتبس صوتها ونزلت دموعها.

- ألو، مريم، إنْت سامعاني؟

- وانت طيب يا عُمر، أنا مش عارفة اشكرك انك افكرت المناسبة ولا
اشكرك على الهدية.

- عجبتيك؟

- غالية قوي، كان كفاية قوي الورد.

- ما فيش حاجة تَغلى عليكِ.

صمتت قليلاً ثم قالت:

- شكراً يا عمر، سلام.

- مريم، ما تقفليش.

- فيه حاجة؟

- أنا عايز اتكلم معاكِ، مش ممكن بعد الشهور دي كلها أسمع صوتك دقيقة، إحنا لازم نتكلم ولازم نتقابل.

- ما ينفعش يا عمر، إنت ليك حياة وأسرة وربنا يوفقك في حياتك.

أنهت مريم المكالمة سريعاً، هربت منه قبل أن تضعف وتبادلته الأشواق، يكفي أنها ستنام الليلة وصوته في أذنيها، إنها أجمل ليلة مضت منذ شهور، مكالمة الليلة ستسعددها أياماً بعدما عَزَّت السعادة وغابت الفرحة، ما زال هو سِرَّ سعادتها، استرخت في السرير وأغمضت عينيها وهي مبتسمة، تتمنى لو تكتمل سعادتها وتقابله في المنام.

فَكَّرَ عُمَرُ أن يحادثها مرة أخرى لكن لا فائدة فلن ترد، ما زالت تهرب رغم أنها ما زالت تُحِبُّ، نعم ما زالت تُحِبُّه، لقد كان يرى لهفتها المختبئة خلف الكلمات القليلة، شَعَرَ بشوقها بين حروف الكلمات، حتى في التنهيدة والسكات، ما في قلبه هو ما في قلبها وإلى متى يتألمان ويهربان؟ إلى متى ينكران أن ما بينهما غير قابل للنسيان؟

عاد إلى البيت متأخرًا، وكانت هناك مفاجأة في انتظاره، سمر ليست هُنا، أخذت الطفلين وتركت المنزل، يبدو أنها استعدت لاتخاذ خطوة مهمة، حاول أن يتواصل معها هاتفياً، لكنَّ هاتفها مغلق. ماذا يفعل؟ أين ذهبت؟

لم يكن أمامه إلا أن يتصل هاتفياً بوالده، توقع أنها هناك، لكن والده فاجأه أنها ليست عنده، وأسمعه توبيخًا لا يرحم، كيف يتأخر إلى الثانية صباحًا في الخارج لا يعرف شيئًا عن أسرته؟ كالمعتاد أسمعته كل كلام التوبيخ وكل اتهامات التقصير بل وَصَفَه بأنه لا يَصْلح أن يكون رَبَّ أسرة.

انتهت المكالمة العاصفة وتبقى المشكلة قائمة، أين ذهبت؟ أين مازن ونور؟

قضى ما تَبَقَّى من الليل ساهرًا، وفي تمام السادسة اتصل بوالدها مختار، لكن المفاجأة أنها ليست عنده أيضًا، وتخطى مختار في المكالمة حدود التوبيخ إلى الاتهام بإيذاء ابنته، وأنه لن يرحمه إن أصابها مكروه.

لم يغضب من اتهامات والدها ولا ما قاله من جنون، كل ما يُهِمُّه أن تكون بخير، لكن يبقى السؤال، أين ذهبت؟ ولماذا فعلت ذلك التصرف المجنون؟ هل تُعاقبه على حُبِّه لمريم؟ هل الغيرة يمكن أن تدفعها إلى هذا التصرف الأحمق؟

الفصل العشرون

ما زال عُمر في دوامة البحث عن سمر وطفليه، حاول أن يتواصل مع مَنْ يعرفهن من صديقاتها وهُنَّ قَلَّة، جميعهن لا يعرفن عنها شيئًا، ماذا عليه أن يفعل؟

بدأ يبحث عنها في المستشفيات رغم أنه لا يظن الأمر كذلك، حتى هذا الاحتمال الضعيف لم يتركه ولكن أيضًا لم يجدها، أين ذهبت؟ وأين اختفت؟ ولماذا؟

تَمُرُّ الساعات وهو لم يَنَمْ منذ يومين، وكل ساعتين يتواصل والدها معه ويتهمه بأشياء لا تخطر على البال، ولا يعرف كيف يدافع عن نفسه، كيف تختفي ولا تعباً بقلق أي أحد؟ كيف تفكر بهذه الأنانية والتفاهة؟

لم يَعْذُ يعلم أين يمكن أن يبحث عنها، هل يتقدم ببلاغ في الشرطة؟ طاف بسيارته يَجُوب الشوارع لا يعلم أين يمكن أن يجدها، علا رنين هاتفه، أَمْسَكَ به بلهفة لعلها تكون هي، لكن الاتصال كان من والده، رَدَّ على والده وهو ينتظر وصلة توبيخ ولوم جديدة، ولكن كان صوت والده هادئًا جدًّا، سأله برزانة:

- إنت فين؟

- والله ما انا عارف انا رايع فين، أنا بالف بالعربية في الشوارع زي
المجنون بادور على الهانم، أنا بافكر ابلغ الشرطة.

- لا، خلاص، رُح لها شقتنا في المهندسين.

- هي هناك؟

- آه.

- إزاي يعني؟ وجابت المفاتيح ازاي؟ أنا مش فاهم.

- أنا حبيت اعرفك قيمة مراتك وأولادك يا عمر، عشان تفوق من جو
الرومانسية يا عندليب.

كانت صدمة عمر بالغة، لم يصدق أن والده اتفق مع زوجته على العبث
بأعصابه وراحته، أي منطق هذا؟ فقال منفعلًا:

- يعني حضرتك عارف هي فين وساييني هاتجنن من القلق؟! دا ازاي
يعني؟! أنا باموت من التعب وقلة النوم، وسمعت من ابوها كلام زي الزفت
ومش قادر انطق، إزاي تعمل كدا في ابنك؟!

- هو انا غلطان اني عايزك تفوق وتحافظ على بيتك؟ ولا اسيبك تضيع
سمر كمان وتبقى لا طُلت الي بتحبها ولا الي بتحبك؟ إنت عارف...

وفجأة سمع مراد صوت اصطدام مُدَوِّيًا وانقطع الاتصال، صرخ الأب في
الهاتف:

- عُمر... عُمر... عُمر.

لقد كانت صدمة عُمر في والده كبيرة شَلَّتْ عقله وأفقدته كامل تركيزه،
وفَقَدَ السيطرة على السيارة.

هُرَعَت سيارات الإسعاف إلى مكان الحادث ونُقل عُمر إلى المستشفى
بعد حادث مروع.

انتقل مراد وزوجته فورًا إلى المستشفى، أبلغ مراد سمر التي جاءت
مهرولة بطفليها وهي لا تدرك أن كذبتها تحولت إلى كارثة، ثم أبلغ الدكتور
عبد الرحيم الذي ذهب إليهم في نصف ساعة.

وقف الجميع في انتظار خروجه من العمليات، وجلس مراد يبكي بحرقة،
لا يصدق أن خُطَّته انقلبت لعنة تحرق الجميع، ما كان يظن أن الأمر
سيجعل ابنه بين الحياة والموت، ظل يبكي بين يدي الدكتور عبد الرحيم
الذي حاول أن يخفف عنه، رغم أنه لم يقتنع قَطُّ بهذه الحيلة السخيفة
لإقناع ابنه بأن سمر وطفليه هم العائلة التي تستحق وقته وحُبّه. ولكن
الرجل كان يتمزق من الخوف والهلع على ابنه الوحيد، يكفيه ما هو فيه.

مضى— أكثر من ساعتين والجميع يحبس الأنفاس، انتبه الدكتور عبد
الرحيم إلى رنين هاتفه، إنها مريم، هل علمت بالحادث؟

رَدَّ عليها:

- إزيك يا مريم، خير يا بنتي؟

- عمو، أنا ما اعرفش من امبارح قلبي مقبوض ومش مرتاحة، هو عمر
كويس؟

صمت الدكتور ولا يدري أَيُخبرها أم لا أم ماذا.

فعاودت الحديث:

- هو كويس؟ أنا حاسة انه فيه مشكلة، أنا مش ينفع اكلمه، ممكن تكلمه وتطمني.

لم يستطع الدكتور إخفاء الحقيقة، أخبرها بما حدث، فجاءت إلى المستشفى وهي منهارة، جلست وحدها بعيداً عن زوجته وأسرته، فقام الدكتور عبد الرحيم ليجلس إلى جوارها، أمسك بيدها المرتعشة وحاول أن يطمئنها، ولكن ليس هناك كلمات تريح القلب الممزق من الخوف والقلق، لن تطمئن إلا عندما يغادر هذا المكان على قدميه، الدقائق مَرَّتْ ثقيلة مؤلمة على الجميع. وأخيراً خرج من غرفة العمليات إلى العناية المركزة، طمأنهم الأطباء أن الحالة مستقرة حتى الآن، وفي انتظار أن يتخطى مرحلة الخطر.

مَرَّتْ أيام الخطر، واحتُجز في غرفة عادية وسمح لأهله برؤيته، دخل والده ووالدته وظلَّ مراد يتأسف له ويبكي بحرقة، بينما والدته كانت تطالب مراد ألا يُحدِّثه في أي شيء يضايقه، أما عمر فكان يستمع في صمت، رَقَّ قلبه كثيراً لدموع والده، فهو لم يَرَ والده يبكي أبداً في حياته، فقال مبتسماً:

- خلاص يا بابا، عُمر الشقي بقي.

ثم دخل الدكتور عبد الرحيم واطمأن على عمر، همس عُمر في أذنه يسأله عن مريم:

- هل تعرف ما حدث؟

قبل أن يجيب الدكتور عبد الرحيم دخلت سمر على استحياء ومعها الطفلان وأسرع إليها خالها مراد طالبًا منها أن تعتذر إلى زوجها، تكلمت بتأثر واعتذرت، فلم يَرُدَّ عُمَر لكنه ابتسم لطفليه وظلَّ مُعلِّقًا بصره عليهما ثم طلب من والدته أن تصطحب الأولاد إلى الفيلا وترتاح معهما وتعود إليه غداً، وكذلك طلب من والده أن يستريح الليلة في المنزل، فقالت سمر:

- أنا هاقد معاه يا طنط.

فردَّ عمر بهدوء شديد:

- سمر، إنتِ طالق.

فاجأها وفاجأ الجميع، ولكن ليس هذا وقت أو مكان النقاش، أخذها مراد وأخذ زوجته والطفلين إلى البيت ولم يسمح لها أن تنطق بكلمة.

خرج الجميع وبقي الدكتور عبد الرحيم الذي كان مذهولاً من تصرف عمر، وأدرك أن عمر اتخذ هذا القرار هنا وبهذا الاستعجال وبهذه الطريقة المحرجة لزوجته ردًا على ما فعلت، لقد اعتذرت سمر ولكن لم يستطع عُمَر أن يقبل اعتذارًا عن تصرف أحمق كاد يُنهي حياته، فعاد عُمَر يسأل عن مريم، فأجابه أنها شعرت بمحنته قبل أن يُخبرها وحكى له ما حدث، فطلب عُمَر أن يراها، واستاء أن يتركوها منتظرة ويُدخلوا إليه من لا يريد أن يراها، فخرج الدكتور عبد الرحيم لينادي مريم فلم يجدها، فطلبها هاتفيًا، فردَّت عليه بصوتٍ باكٍ وأخبرته أنها في سيارتها، هرول إليها العم العزيز وجلس إلى جوارها في السيارة متسائلًا عن سبب البكاء وطمأنها أن عمر بخير ولا داعي للبكاء.

فسألته بغضب:

- هو عُمر طلق سمر ليه؟ بسببي؟

- مين قال لك كدا؟

- هي خرجت من عنده منفعة، وقالت انه طلقها بسببي واني دمرت حياتها، أنا والله اطلقت عشان اسيبه يعيش مع اولاده، وجيت على قلبي واتحملت فوق طاقتي.

- هي الي دمرت حياتها، هي سبب الحادثة الي كان عُمر هيموت فيها دي، اهدي يا حبيبتني، المهم عمر هيتجنن ويشوفك، ودا غلبان ومكسر- وما ينفعش نكسر بخاطره.

ابتسمت ومسحت دموعها وذهبت إلى غرفته، فعاودت البكاء لما رأت حالته والجبيرة على ساقه وذراعه، فقَبَّلته وهي تقول:

- سلامتك يا حبيبي، سلامتك.

- يا ريتني عملت حادثة من زمان.

- إيه الي بتقوله دا؟!!

- طالما باصعب عليكِ وتخليني اشوفك.

ابتسمتْ وكأن العالمَ حوله يبتسم، تناسى كل آلامه، مهما بلغت تلك الآلام فهي ليست كآلام الروح والقلب في الفراق، كل تلك الآلام ستزول وهي معه.

.....

كانت صدمة سمر قوية، لم تُصدّق أن عمر يطلقها بهذه الطريقة، مهما كان ذنبها، فما كان يجب أن يُهينها بهذه القسوة أمام الناس، لم تخطئ وحدها، لقد كان كل ما فعلت بتخطيط ومباركة والده، في النهاية نسي— سريعًا ما فعله والده ولم يتذكر إلا ما فعلت، المشكلة ليست في خطئها بل المشكلة في عمر نفسه، لقد كان عُمر ينتظر أي فرصة لإنهاء ما بينهما وأبدًا لن تأتي فرصة أفضل من ذلك. لقد أنهى ما بينهما في لحظة لن يعترض فيها والده أبدًا. انهمرت دموعها ليس حزنًا على فراق من لا يحزن على فراقها بل حزنًا على نفسها، هي مَنْ أهانت نفسها وليس عُمر مَنْ أهانها، هي مَنْ ضَحّت بمن يحبها لتركع أمام رجل لا يحبها ولا يشعر بها، هرولت سنوات خلف وَهم حُبّها لعمر دون جدوى، كان والدها مُحِقًّا حينما كان متمسكًا بأن تكمل حياتها مع حازم، كان مُحِقًّا حينما رفض زواجها من عُمر، كان يرى ما لا تراه ولكن صَدَمَتْها منه في زواجه السريع بعد وفاة والدتها أصَمَّ أذنيها عن أي نصيحة منه، الآن تتذكر نصائحه وتندم لأنها لم تأخذ بها ولكن بعد فوات الأوان، بعد أن مرّت بتجربتين فاشلتين بسبب عنادها وتسرعها، مضى- وقت الندم، لقد انتهت كل شيء وخسرت كل شيء، نظرت إلى طفليها وهي تبكي مِنْ جُرح لا يهدأ، ورغم كل هذا ابتسمت، وقالت لنفسها:

- ما زال هناك مازن ونور.

بقيت مريم إلى جوار عمر ولم تفارقه طوال الأيام التي مكثها في المستشفى، كان والداه يأتیان يوميًا للاطمئنان عليه ويقضيان معه بعض الوقت ثم يغادران، كانت قلقة مِنْ تعامل والد عمر معها ولكن على عكس

توقعاتها كان ودودًا معها للغاية، دائم الشكر لها على وقوفها إلى جوار عمر في هذه الأزمة.

تَحَدَّثَ عُمر مع والده وأخبره أن سمر تستطيع العودة إلى شقتها أو تظل في فيلا عائلة مراد إن أرادت، وسيظل لها كل التقدير والاحترام رغم الانفصال لأنها أم طفليه، وإن أرادت أن تترك الطفلين له فلن يمانع، طلب من والده أن يُنهي أي أمور عالقَة ولكن رجاء عمر الوحيد من والده ألا يحدثه أبدًا عن العودة إلى سمر لأن ما بينهما انتهى بلا رجعة.

استجاب مراد لرغبة ابنه، استسلم لكل ما يريد لأنه لن يخاطر بحياة ابنه الوحيد مرة أخرى. سيتركه يخطط حياته كيفما يشاء، لا يُهمُّه أولًا وأخيرًا إلا سعادة عمر، سيتركه يختار السعادة من منظوره الشخصي. لن يفكر له مرة أخرى، لن يُجبره على شيء مرة أخرى، لقد نضج الابن بما يكفي.

خرج عمر من المستشفى بعد أن تَحَسَّنَ لكن ما زالت ذراعه وساقه عالقتين في الجبائر، عاد عُمر إلى فيلا حُبِّه حيث الذكريات الحلوة والأيام الجميلة.

كانت مريم تذهب لزيارته يوميًا وتقضي — معه بعض الوقت، وفي يوم ذهبت إليه، فوجدت أمجد هناك والدكتور عبد الرحيم، فقلقت وسألت بانزعاج عن صحته، فطمأنها الدكتور عبد الرحيم وأخبرها أنه بخير، فهرولت إليه في غرفته لتطمئن بنفسها:

- عمر، إنت كويس؟
- يعني...
- يعني إيه؟ حاسس بإيه؟
- مستنيين دكتور تاني.
- فيه إيه؟ نروح المستشفى حالاً.
- حبيبتي، دا دكتور العشاق اللي بيحوزهم.
- ابتسمت قائلة:
- إنت بتهزر.
- أبداً، أنا باتكلم جد جدًا، المأذون جاي حالاً.
- مأذون ايه يا عمر؟ هنتجوز في الجبس؟!
- أنا على ما اخف ممكن تغيري رأيك واضطر اعمل حادثة تاني ومش كل مرة تسلم الجرة حبيبتي.
- إنت مجنون؟
- مجنون بيك، وعازب اقول لكل الدنيا باعشقك ومهما قلت ومهما وصفت لسا ما قُلتش حاجة من اللي في قلبي ليك، أنا عايزك دايماً معاي وجنبي، أنا بيك وليك باعيش، مش هاسمح ان يوم من عمري يضيع وانت بعيدة عني، ما فيش حاجة هتفرقنا تاني أبداً.
- أبداً يا عمر.

تم الزواج وعادت مريم إلى جَنَّتْهَا، إلى حياتها، إلى حبيبها بعد فراق
أشقى كليهما، ولكن لم يهزم البعدُ حُبَّهما، وانحنت الصعاب لعشقهما، ليبقى
الحب أقوى من كل الظروف، ليبقى الحب أجمل ما في الحياة، بل إن الحُبَّ
سِر الحياة. بالعشق نحيا.

الفهرس

1.....	الفصل الأول
13.....	الفصل الثاني
19.....	الفصل الثالث
27.....	الفصل الرابع
35.....	الفصل الخامس
47.....	الفصل السادس
55.....	الفصل السابع
67.....	الفصل الثامن
79.....	الفصل التاسع
89.....	الفصل العاشر
99.....	الفصل الحادي عشر

107	الفصل الثاني عشر
117	الفصل الثالث عشر
125	الفصل الرابع عشر
133	الفصل الخامس عشر
139	الفصل السادس عشر
149	الفصل السابع عشر
159	الفصل الثامن عشر
167	الفصل التاسع عشر
177	الفصل العشرون

كم لديك من السطور الجميلة التى أخذت
منك الكثير من المجهود والاعتناء
لكى تكون أفضل ما يمكن لتعبر بها عن شعور
داخلى لم تستطع أن تشاركه مع أحد غيرك.

مهما كانت سطورك
قصص... روايات... أشعار... مقالات
باللغة العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية

تواصل معنا

لتشارك سطورك مع العالم

٠١١٢٢٣٨٠٤٤٣